# القلق الوجودي

## علم الأدب و الفن ..

سـَعد صلال

تنمية القدرات البشرية

إسم الكتاب : القلق الوجودي / علم الأدب والفن .
إسم المؤلف : د . سعد صلال
تصميم الغلاف و الصفحات الداخلية : سعد صلال .

إسم الناشر : دار صفقات كتابية .
عنوان الناشر : كفر الشيخ / مصر .
رقم الطبعة : الاولى .
رقم الايداع : 1963 / 2024
تاريخ الحصول على رقم الايداع : 3 / 1 / 2024 .
الترقيم الدولي : 978-977-87282-5-5 .
أيميل الكاتب : doctorsaadsallal@gmail.com

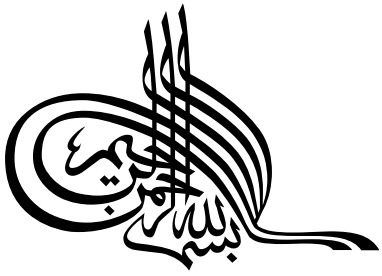

بسم الله الرحمن الرحيم

# تمهيد

إن سبب هذا الكتيب يتلخص ، بأن علّة كل الفعاليات البشرية عبارة عن :

أولا : ( محاولات تخلص مزمنة ) من ( القلق الوجودي ) الذي تورط به الكائن الحي عموما ، والإنسان خصوصا .. طالما هو حي ..

ثانيا : إن جميع هذه الفعاليات المعاصرة ، الأدبية والفنية و التقنية ، عبارة عن علوم يضمها ( علم واحد ) هو ( علم البحث عن الطمأنينة ) ..

أي :

إن جميع ما يمارسه الإنسان عبارة عن حزمة من الفعاليات ( الجبرية ) التي يعيشها ، لكي ينظم إنفعالاته وعواطفه بطريقة ( هندسية ) قدر الإمكان بحيث يمكن إعتبارها ( علما ) .

الإنفعالات والعواطف و الغرائز وما الى ذلك من عقلانية يتمتع بها الإنسان ، هي ( الأولى ) .. أما ما يترتب عليها فهو ( علمية المحاولة ) وليس العكس .. أي أن الانسان ليس ( علميا ) ليتفكك بل هو مفكك ، لـ ( يتعلم ) .

إن كل ما نطلق عليه آدابا او فنونا او ( تكنولوجيا ) ، عبارة عن ( تجميع شتات ) من أجل العلم ، كخطوة أولى نحو الخطوة التالية ، وهي أن يصبح هذا العلم ( وسيلة ) مثلى ، لسببين :

الأول هو طمأنينة الإنسان بـ ( توسيع دائرة التواصل ) مع كل ما عداه من طبيعة و كائنات حية و بشر .. حتى قبل أن ينتمي لنفسه .

ثانيا : أن يختصر الطرق من أجل الحصول على ذلك .

أما الهدف النهائي فهو ( البحث عن الطمأنينة ) .. حتى الموت .. !

لقد سعت البشرية لعملية ( توثيق ) بعض من هذه الإنفعالات والعواطف البشرية فسميت ( آدابا ) و ( علوما ) ، كعلم النفس ، ( الفردي ) و علم الإجتماع ( الجمعي ) و علم السياسة ( الزعامة ) وسوى ذلك .. والبعض الآخر لم يوثق لحد اليوم .. كما سوف نشهد مستقبلا من علوم أخرى ليست موجودة اليوم .. وجميعها تصب بمجرى واحد ..

لقد صنّف الانسان العشوائية الإنفعالية الى ( أكشاك ) ذات عناوين ، من أجل أن يطمئن .. فقط ..

الإنسان كائن منافق طيب ، يحاول الخلاص من قلقه بتحايل ساذج يتخطى حدّ البلاهة .

إنه يريد أن يشعر بالقوة مهما كان الضعف .. والخلود مهما كان الفناء .

إنه يعي أنه خائف .. ولكنه يغني .

يريد أن يطمئن بأية طريقة حتى لو اقتضى الأمر الكذب ، بل تصديق الكذبة حتى النهاية .

إنه ( يفبرك ) كل ما يحيط به لمجرد التمني بالأمان وكأنه بحالة من سباق بربري غامض لإستلاب ذاته .

حين يبدأ الانسان وعي ما حوله ، يكون قد فات الأوان عليه ليتخلص من إستفهامه ، فيرسم العلامة الهائلة لغائية وجوده من الأساس ، سواءً إعترف بذلك او لم .

لا يتعلق الأمر بإنسان معاصر من عدمه ، فالمعادلة قائمة لجميع الناس وعبر جميع عصور التاريخ البشري .

الأمر قد يمتد حتى للحيوانات جميعا والنباتات جميعا .

القلق الوجودي المزمن .

إنه القلق الوجودي المزمن والبحث عن حل والبقاء في حالة البحث عن هذا الحل حتى يتوفاه الله جلت قدرته ، دون أن يستخلص أية نتيجة واضحة كافية لإرضاء غروره الفلسفي الا من ( محاولة نصر ) وهزيمة نهائية .. لا يوقفها غير الموت . !

.....

إن أيا منا ، حين يحاول التوقف قليلا ومراجعة مذكراته النفسية اليومية لا يجد الّا لهاثا في طريق ، بأرصفة ضيقة لإنجاز مهام كثيرة في حياته اليومية ، تحت عنوان ( واجبات ) ، أكثر مما هو في حالة ( حقوق ) خاصة له ، وكأنه ملزم أن يكون ( عبدا ) دائما لسنّة مستقرة في إحساسه العميق ، أكثر منها منطقا عقلانيا ، ورغم أنه على علم بذلك الا أنه لا يستطيع الخروج عن ( قوة ) هذا الإنفعال المزعج المريح ، في نفس الوقت .

إنه يعلم أنه ( على واجب ) أكثر منه ( الى حق ) .

إنه كائن طارئ ، بعقل طارئ .. لظرف طارئ .

ليس عبثا .. ولكنه المجهول الأعظم .

في نهاية الأمر ، ليس لنا الا ما لدينا ، وعلينا التصرف على هذا الأساس .

تقليص الخسارة ، ربح .

عدم تضييع الوقت ، بفلسفة السبب و النتيجة و ( العلّية ) المثيرة للاشمئزاز .

لا أحد يستطيع فهم ما يجري بالضبط ، ولن يستطيع على الاطلاق .

إنها حركة مفروضة و ( حتمية وجود ) ، تؤكد علينا التنبه لصباح إفتراضي و ليل قسري ، بحكم حركة الأرض حول الشمس ، لا أقل ولا أكثر ، لا لسبب الا لكي نطلق العنان لخيالنا ، فنقيم ( أجندة ) زمنية محددة لتحديد الساعة واليوم والشهر والسنة ، ولو صادف أنْ إختلتْ السرعة التي تدور بها الأرض حول الشمس وأصبحت السنة ، سنة ونصف مثلا ، فإن أعمارنا ستقلّ و مواعيدنا سوف تختلف ويعاد بناء المفهوم العام لجدولة ( اليوم العمري التقويمي ) لأيٍّ منا .

نحن أبناء حيض .

هناك مساحة ( محدّدة و محدودة ) تماما لنا ، كي نلعب فيها ، وعلينا الإستفادة القصوى منها ، ولا مبرر بترك الشارع للبحث عن رصيف أغبر ..

الوقت ضيق ولا يسمح بالغباء او التغابي ، سواءً كان هنا عالم آخر ، او لم يكن .

الطمأنينة التي تنادي بها الأديان السماوية هي الخير ، والخير هو الله جلت قدرته ، و الله الخير هو العلاقات البينية الأفقية بين الإنسان وأخيه ، أكثر بكثير من فلسفة البحث عن مبرر الحياة ونهايتها .

كل ما عدا ذلك ، خلق مشوه من عقول تتذاكى في حوض سمك خال من الماء ..

الانسان لم يخلق نفسه بل وجدها كما هي ، تماما كمتلبس بتهمة وجوده ..
من الإنصاف القول أنه لم يكن السبب ، ولكن هناك غاية ما ، خارج معرفته الضيقة ..
لنحاول العودة للوراء قليلا حيث بداية تكوين الإنسان لنستطيع معرفة الأسس الأولى التي تكوّن فيها العقل البشري ، ثم التصاعد تدريجيا بالتاريخ حتى اليوم لنتمكن بقدر معقول من دراسة الوضع النفسي والأخلاقي الإجتماعي والأناني الخاص به .
القلق الوجودي ، علّة علوم الآداب والفنون و السلوك الجمعي للانسان ..
ولهذا فسوف نمر باختصار على الكثير من هذه الوسائل التي أصبحت قاموسيا ، في حكم القوانين المستقرة بينما هي محاولات متصاعدة مع التاريخ وسوف تستمر كذلك .. إبتداءً من الصوت الحيواني الصادر منه ، وانتهاءً بأرقى العلوم التقنية المستقبلية ..
سنعرّف ( العلم ) أولا ، كـ ( رقم لحرف ) .. ثم نعرج على بعض هذه الوسائل لنخلص الى أن الانسان إبن ذاته النفعية كي يرتاح من ذاته أولا قبل أن يرتاح من سواه ..

# مُقَدِّمَة

إن أغلبنا يفهم ( العلم ) بما هو متعارف عليه من خلال مفهوم عام غامض و مشوش بعض الشيء ، الا من المدارس والكليات العلمية المرتبطة بالدراسات ، مثل الكليات العلمية ، ككلية الطب ، و الصيدلة والأسنان و الهندسة بكل أنواعها وما الى ذلك ..

كما أن أغلبنا يفهم ( الأدب ) على أنه الشعر والرواية و القصة القصيرة و النصوص المسرحية و سواها ..

وكذلك فهْمنا لـ ( الفن ) على أنه حالة تقع بمعزل نسبي ، فلا هو بـ ( العلم ) ولا هو بـ ( الأدب ) .. والحقيقة أنهم جميعا يقعون تحت راية ( العلم ) .

العلم .. الأدب .. الفن .

العلوم .. الآداب .. الفنون ..

علينا اذن أن نشرح ما هو تعريف أي منهم ، وما هي صلة أي منهم بالآخر ..

وما هو القاسم المشترك بينهم . ؟

تبدأ الحكاية حين بدأت البشرية
بتسيق ( عملية التواصل ) فيما بينها ،
أي قبل بداية الإستيطان البشري المنظم
في القرى ثم المدن .
لقد أراد الإنسان أن يتواصل مع سواه
حينما كان مجرد كائن
أقرب للحيوان منه للإنسان
في العصور الأولى لتكوينه ..
فوجد الطبيعة و التصق بها، ثم حاول
أن يعيش آمنا قدر الإمكان من أخطار
هذه الطبيعة ، ثم وجد الأنثى و وجدته ،
فشكّلا التزواج
الذي أثمر عن ( النسل ) وهكذا ..
.....

إن العمليـة التناسـلية ، أنتجـت كائنـات جديدة لدى هذا الحيوان ، الإنسان البدائي ، و قد نتج عن ذلك تعديل طفيف بشخصيته ، وهو ( الكيفية ) التي يتعامل بها مع سواه ، سواءً كانت الأنثى التي ترافقه او الأبناء الذين أنجبهم .. إنها بداية ( عصر السياسة ) والنفاق المنظم ..
كما أراد أن يحسّن ( وسائل تواصله ) مع الحيوانات الأليفة التي كانت سائدة او قريبة منه ، فبدأ منذ تلك الساعة بتحسين وسائل تواصله ، لتقليص خسائره من

ناحية ومن ناحية أخرى ، لتعزيز أمنه الشخصي و أمن عائلته ، ثم الأمن العام الذي يعيشه في ( الجغرافية ) التي يسكنها خلال كل حياته ..

لقد بدأ اذن بوضع منظومة أكثر تنظيما من مجرد كونه إنسانا سائبا يلف البراري بحثا عن الجنس و الأكل والشرب ..

إن مجرد أن ينشغل الإنسان بعملية ( تحسين إدارة شؤونه ) ، هي خطوة كبيرة للامام بإعتباره ( عاقلا ) . !

والآن لدينا الإنسان ، ولدينا عقليته التي بدأت تتبنى ( الجدوى ) .

ولكي يضمن هذه الجدوى من أيام حياته ، إزدادت ( وسائل تحسين عقليته ) تعقيدا لضمان ( جودة حياة أفضل ) ، مع التأريخ ..

كيف ؟

كيف لنا أن نتصور أن أيّاً منّا لو أراد أن يحسّن مِن تواصله مع سواه ؟

مع أي شخص قريب عليه .. ؟

مع أي حيوان أليف محاذٍ له .. ؟

الجواب : عليه أن يتخلى ( جزئيا ) من ( خصوصيته الحيوانية ) الشرسة .

كيف ؟

عليه أن ( يتقرب ) لهذا الإنسان القريب منه ، بأن ( يراعيه ) وأن ( يوصل ) له رسالة واضحة بأنه ( صديق ) .. وليس ( عدوا ) ..

الأشياء ( متناثرة ) حوله .. وهو في حالة إستكشاف ، فحصرها بعقله .. ولكن كثرتها وتعدد مواقعها ، أثار في نفسه هاجس ( السيطرة عليها ) للإستفادة منها ، فكانت النتيجة ، أنْ وضع لها ( أولوليات إستخدام ) .

إنها بداية ( العلم ) .

العلم ، أن يؤسس الإنسان لأفضل ( رقمنة ) ممكنة لـ ( حروفه ) .

العلم هو أرقام الحروف .

الأشياء فيما تحيط بنا عبارة عن ( متناثرات ) من المواد ( المتراكمة ) بشكلية طبيعية عفوية ولكن حين نضع لها ( مؤشرات تصنيف ) ، فأنها تصبح أسهل علينا بأن نفهم كيف ( نستفيد ) منها .

العالم المحيط بنا عبارة عن الطبيعة ، والطبيعة عبارة عن أشياء وجدناها ( مترابطة ) بطريقة منطقية ضمن حدود قوانينها الطبيعية ( قوانين الفيزياء ) ..

ومع ذلك ، وبعد وجودنا العقلاني ، نستطيع أن :

أولا : ( نحس ) بها..

ثانيا : أن نستفيد منها..

ثالثا : أن نضع لها ( العلاقات ) التي تربطها بعضها ببعض لإكتساب ( أفضل أمكانية إستغلال ) ممكنة لها ....

هكذا ببساطة هو العلم في بدايات البشرية المتمدنة .

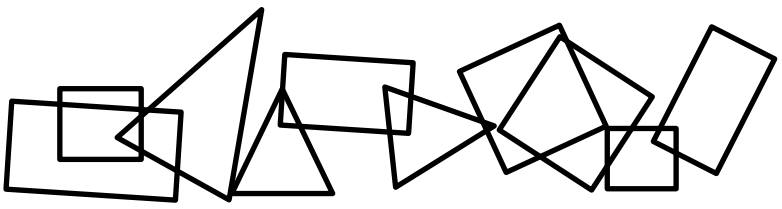

**الأشياء كما تبدو**

**للوهلة الأولى في محيط الإنسان ..**

ثم بدأ الإنسان الأول المحاولة بتحسين فهمه لهذه الأشياء المتناثرة ، فرتّبها كمجاميع تتشابه بـ ( قاسم مشترك واحد ) على الأقل دون سواها .

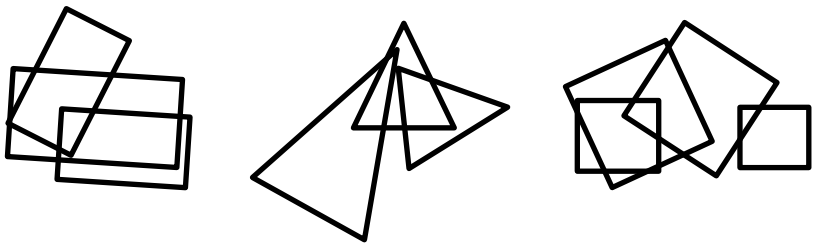

ثم إعادة ترتيب كل منها بـ ( هندسة بناء ) ، إما ( أجمل ) او ( أنفع ) :

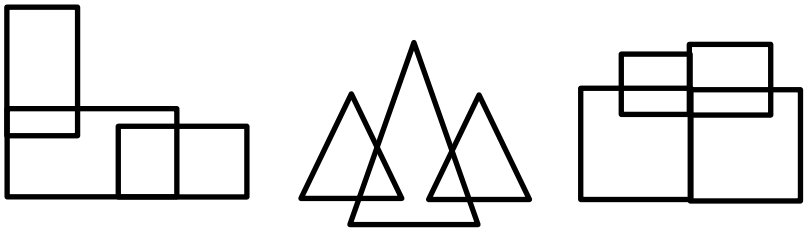

وهكذا بدأ يقوم بعملية ( معينة ) .

إنها ( فرز ) الأشياء الخارجية لتصبح أكثر وضوحا من ناحية ( الصنف ) الخاص بكل منها ..

ولكن كيف تم له ذلك ؟

لقد إعتمد على مبدأ مزدوج بالتوازي ..( القاسم المشترك ) و ( غير المشترك ) .

أي أن يجد ما يجمع أيا من هذه الأشياء دون سواه ، فكان مثلا ، الشكل ( المربع ) هو القاسم المشترك لمجموعة من هذه الأشياء ، او أن يكون ( المثلث ) او ( المستطيل ) .. فأصبحت بذلك لديه ( ثلاث مجموعات ) ، بدلا من أشياء كثيرة تثير الضجر ..

لقد قام الإنسان بـ ( حصر ) الأشياء التي أراد لها أن تنتظم لكي يستفيد منها .

ثم ( فرزها ) حسب ( صفة معينة ) تشترك بها بعض هذه الأشياء دون سواها .

ثم جاءت الخطوة الثالثة وهي ( ربطها ) بعضها ببعض ، من أجل مصلحته وخدمته الشخصية .

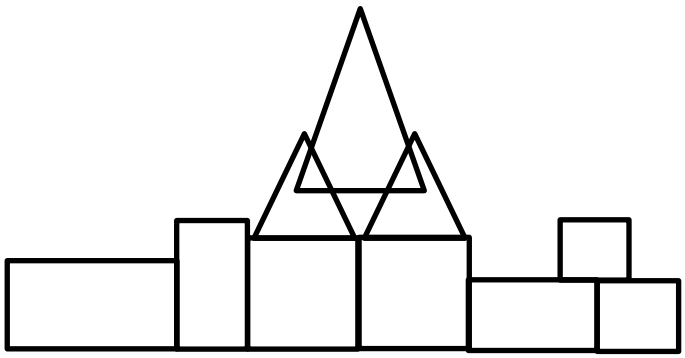

و أخيرا ... لقد شكّل **منزلا** .. !!

لقد بدأت الأشياء كما لو أنها معزولة عن بعضها ، ثم تشكل منها شيئا ( جديدا ) ، أكثر فائدة من مجرد أشياء متناثرة .

ولو إتفقنا على أن المنزل ، هو ( شيء جديد ) لم يكن موجودا قبل ذلك ، فان الواقع يقول إن المنزل ( سوف يكون موجودا ) ، في حالة ( حصر ) مواده ، و ( فرزها ) ثم ( تجميعها ) بطريقة توفر منزلا في نهاية الأمر .
إن العملية التي إستخدمها عبارة عن ( علم ) الأشياء ..
وهكذا هو مبدأ الإستفادة من الأشياء .
هكذا تبدو كما أنها الحروف التي تنظمها الأرقام ..

وكما إتفقنا قبل قليل على أن الإنسان إستطاع أن يوفر منزلا ، فانه يستطيع أن يجعل الكلب البرّي ، ( أليفا ) وأن يجعل البقرة الوحشية ، منزلية .. وأن يجد الأنثى البرّية لتصبح زوجة .. وأن يوفر أمانا كافيا بالتعاون مع الآخرين ليصبح إجتماعيا ..

ثم تتقدم الامور أكثر ، ليصبح المجتمع كله في حالة من عملية ( العلم ) هذه ، فيدخل بمضمار إستخدام الأشياء الطبيعية من التربة والهواء والماء ، لكي يوفر الوقت والجهد من خلال ما نطلق عليه ( الصناعة ) ، ثم ليجد الوسيلة السهلة بالتعامل مع الآخرين من خلال (العملة المالية ) التي تختصر الطريق عن المقايضة و المجاملة والنفاق وما الى ذلك .. فيدخل بعالم ( العلم ) مرة أخرى بما يسمى ( التجارة ) .. مرورا بأمور أخرى ، كـ ( سياسة السمرة ) و ( فن التسويق ) و ( فن المحادثة ) النافع الإنتهازي ...وهكذا .. هي الآداب الإجتماعية الأولى .

# ما هو الأدب

لقد أطلقنا هذه التسمية تأريخيا على مجموعة من الأفعال ( المقصودة ) من قبل الإنسان ، كالشِعر والرواية وسواهما من أجناس الأدب المعاصر كما نعرفها اليوم .
لقد بدأت المسألة من جذورها حين كان الإنسان ، بسيط العقلية لحد كبير ، فبدأ هذه العملية الضرورية لسبب مهم جدا هو ( الإنتماء ) .
وقبل ذلك .. لماذا الإنتماء ؟
إنها الطمأنينة .. والأصوب .. البحث عن الطمأنينة .
فالإنسان كائن ( قلق ) يبحث عن الطمأنينة وليس كائنا ( مطمئنا ) يبحث عن القلق .
إنه القلق الوجودي المتأصل في كينونته وليس أمرا طارئا عليه ، فالحياة عبارة عن فخ يثير القلق منذ لحظة الولادة حتى لحظة الوفاة .. ولهذا فان البحث عن

السكينة الداخلية للانسان ، ليس ترفا عقليا وعلى هذا الأساس فان من حقه أكثر مما هو من واجبه أن يبحث عما يستقر له ، من ناحية توفير الديمومة لجسده والطمأنينة لنفسه .

وهذه العملية بالذات هي ما تعنينا الآن بالحديث .

إنها عملية إعادة ترتيب الأشياء ، و ( ليس خلقها ) ، بطريقة أكثر جدوى مما هي عليه قبل ذلك ، لتأدية ( خدمة ) له .

الخدمة هي كما أسلفنا قبل قليل ، جسدية ونفسية معا ، وليست إحداهما على حساب الأخرى .

هكذا هو الكائن الحي ، إنسانا كان او حيوانا او نباتا .. ولكن حديثنا الآن مقتصر على الإنسان فقط لتسهيل مهمة فهم الأمر ، رغم إشتراك الجميع بنفس الآلية الوجودية للبحث عن الطمأنينة .

الكائن الحي ، مخلوق خائف .

إنه يبحث عما يخفف قلقه .. ولهذا يحاول ( التواصل مع الطبيعة ) ليتخلص من قلقه ، وليس حبّا بها .. فإن وجد من صنفه إنسانا آخراً ، فانه لا يتواني للبحث عن ( رابطة ) ليقيم ( علاقة معرفة ) على الأقل معه ..

وكذا الحال إن وجد حيوانا ليألف له إن لم يقتله ليتغذى عليه ، كالكلب والبقرة والمعزة مثلا .. فاذا أراد الطمأنينة أكثر ربط هؤلاء ببعضهم البعض ، الطبيعة حيث الارض والزرع والنباتات ، والحيوانات ، و لابأس من التضحية بالتواصل مع الآخرين من الناس كبشر مثله ..

ومن هنا بدأ يفكر بالكيفية التي تضمن له إقامة علاقات مع البشر ..

لقد قام بعملية ( حصر ) ثم ( فرز ) لهؤلاء المحيطين به ، على قدر المساحة الجغرافية التي يعيشها ، ثم بدأ بعد ( الفرز ) ، بـ ( خلق ) هندسة معينة للتواصل معهم ، وهي بداية التمدن و العقد السياسي للبشرية الذي نتج عنه العقد الإجتماعي .

إنه ( الإنتماء ) .

البحث بالانتماء عن الطمأنينة ...

إنها عملية مواساة أقرب من حصول على هدف .

إنها وسيلة مزمنة لهدف مستحيل إسمه الطمأنينة .

كيف :

عودة لمثالنا السابق ، حيث حصر الأشياء المتناثرة ، ثم فرزها حسب قواسم مشتركة تتعلق بها ، ثم وضعها على طاولة عقله ، ثم قام بـ ( ربطها ) بعلاقات وهنا دخل بمضمار أكثر تعقيدا ولكن أكثر نفعا له .

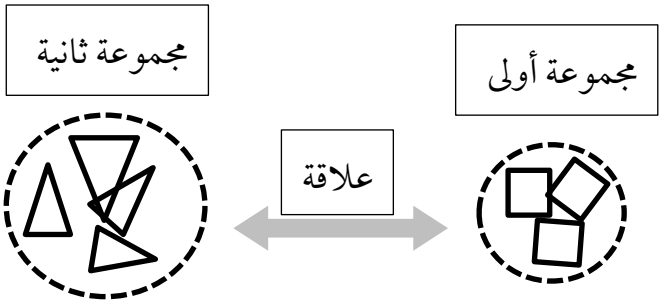


لقد ربط المجموعتين بـ ( علاقة ) .

وبعد هذه العلاقة تحولت المجموعتان لمجموعة واحدة :

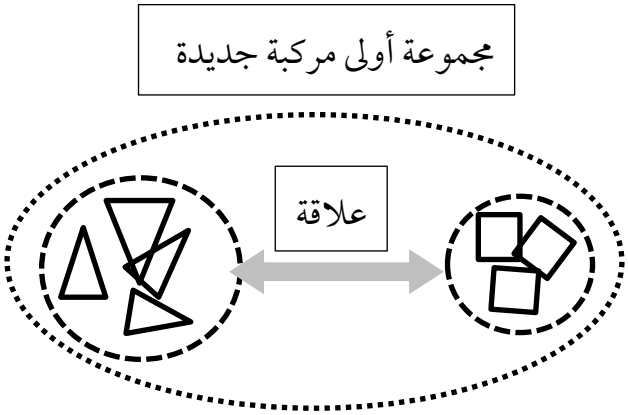


وبدأ الإنسان بإستحداث عملية جديدة من أشياء أخرى لتشكيل مجموعةجديدة مع علاقتها ، وربط الإثنين بعلاقة جديدة ايضا :

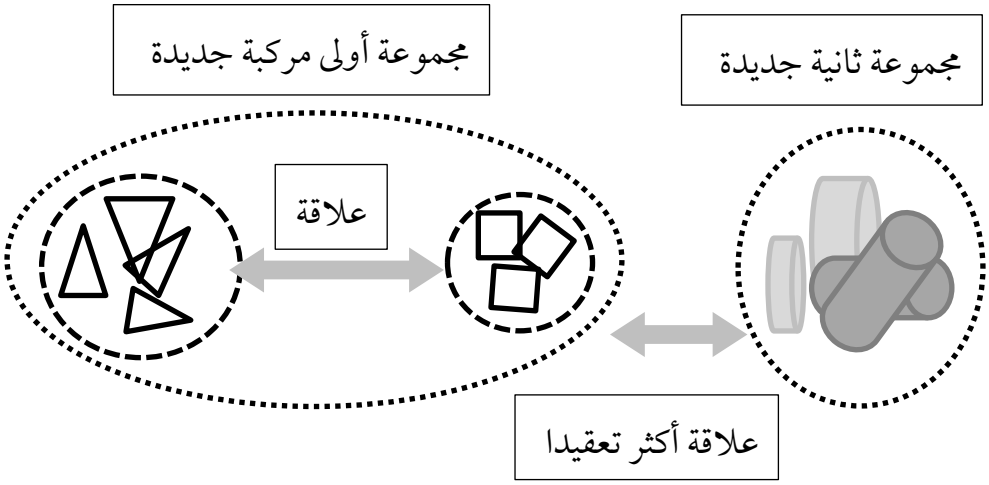

وهكذا ، تطورت العملية ، بحيث أصبحت عملية ربط ( مجاميع معقدة ) مع ( مجاميع معقدة أخرى ) ، لإخراج نتائج أكثركفاءة من مجرد مجاميع متفرقة لا تربطها صلة .

إنها ( هندسة ربط الأشياء ) بعضها ببعض لإخراج أفضل ما يمكن .

الخلاصة :

**الحصر + الفرز + العلاقة = الناتج .**

ما هو الناتج ؟

هو إما ( حزمة جديدة ) من أشياء تشكل كيانا واحدا ( جديدا ) ، او ( علاقة جديدة ) تربط حزمتين من مجاميع سابقة تم حصرها و فرزها وتجميعها ككيان واحد .

المهم الخروج بناتج ( جديد ) أكثر أهمية خدمية او نفسية للانسان من المكونات التي شكلت هذه المجاميع حينما كانت مجرد شتات مبعثرة ..

إن كل ما وصلت له الحضارة البشرية المعاصرة في الألفية الثالثة وكل ما سوف تصله بالعصور القادمة عبارة عن نتاج هذه المعادلات المتشابكلة بتجميع الحزم بعضها لبعض ثم وضع ( علاقات جديدة ) تنتج ( موادا ) مصنّعة جديدة و ( أفكارا ) جديدة في عقل الإنسان المستقبلي كما هو حين بدأ في الماضي .

لا جديد بالأمر ، فكل ما في الأمر أن الإنسان بدأ بتشغيل عقله ، لهذه العملية التي نطلق عليها ( علم ) واستمر بها ، مستغلا الطبيعة و الآخرين وذاته ، لإنجاز

( منتج جديد ) يقوم على خدمته الشخصية ، وكذا حال كل ما تطور عن المدنية البشرية منذ الآف السنوات والتي سوف تستمر ربما لملايين السنين .

أحفادنا وأحفاد أحفادنا ، سوف يشهدون ما كنّا عليه من تخلف نسبي بالنسبة لهم كما نحن ننظر لاسلافنا ، طالما أن العملية عبارة عن حتمية تاريخية مرتبطة بوجود الكائن الحي عموما والإنسان خصوصا .

إنه تحديث مستمر ، لمبدأ العلاقات ( المتصاعدة ) بالكفاءة .

وكما هو حديثنا عن المواد الطبيعية ، هو الحديث ذاته عن تطور ( العلم ) في حقل الأفكار البشرية .

إنه علم ( النفس الفردي ) ، و علم ( النفس الجمعي ) .. و علم ( النفس الحيواني والنباتي ) .. وهكذا ..

# الطبيعة والطمأنينة

وكما هو حال الإنسان ، هو حال الطبيعة .

لقد درس الإنسان الحركة الطبيعة للاشياء ، فأوجد لها ( قواسما مشتركة ) هي الاخرى ، إنتهت بما نطلق عليه ( قوانين الفيزياء ) .

لماذا ؟

أولا لكي ندرك أن القوانين العلمية ليست أكثر من ( تفسير رقمي ) لما يجري في الكون .. القانون شرنقة الظاهرة ..

ثانيا : لكي نتأكد أن العملية مجرد تنظيم رقمي من قبلنا كبشر ، لكي نفسر هذه ( الحركة ) في الطبيعة ..

ثالثا : لكي ندرك ، رضينا أم أبينا ، أن الطبيعة تعاني هي الأخرى ، كما نعاني نحن من ( فعل الحيوية ) الذي طرأ عليها كما طرأ على الكائن الحي بصورة عامة

والإنسان بصورة خاصة ، وأن الطبيعة تعاني هي الأخرى من ( فعل الحركة ) الأول الذي دفع بها لهذا الوضع التي هي فيه الآن ..

فمن غير المعقول أن لا يكون لها ( باعث أول ) ، او ( سبب أول ) ، او ( علّة اولى ) دفعت بها لهذه الحركة التي نظمها الإنسان بـ ( قوانين ) ..

إنها تبحث عن الإستقرار بعد الإستفزاز .

عن السكون بعد الحركة .

الطبيعة تعاني ( الديناميكيا ) أملا بـ ( الإستاتيكيا ) التي قدمت منها .. !!

إنها تحاول الطمأنينة بعد القلق ...هي الاخرى .. !!

# علم الأدب

لقد بدأت الآداب ، بـ ( الايماءة ) ، ثم ( اللغة ) ، ثم اللغة الموسيقية ( الشعر ) ثم ( اللحن ) ، ثم ( الحكاية ) فالقصة القصيرة فالرواية .. مرورا بالمسرح ..

حين وجد الإنسان نفسه وهو طفل صغير ، بمعزل عن أمه التي تركته لمصيره الغامض ، كـ ( لقيط ) ، فكّر بالطريقة الأمثل لكي يعيش .. مجرد أن يعيش .. فكانت له أفكاره الأولى التي بدأها بترتيب الأشياء المحيطة به ، كما أسلفنا ثم تطور الأمر حين وجد أن حاجته لهذا التعايش تقتضي أن يخطط بـ ( علمية ) لكي يتجاوز المخاطر ، ويحصل على الطعام ، و يأمن السكن .. ثم تقدم به الطموح فدفعته أن يلقح الإناث .. و لكي يحقق ذلك بدأ بالتفكير ايضا بالطريقة التي تسمح له بذلك دون خسائر كبيرة ولا فقدان الأنثى التي أراد أن يمارس الجنس

معها ، فبدأ ( النفاق المنظم ) وهو لا يزال في مرحلة ( جمع الحزم المتوفرة ) من ( الأمور ) و ( الأشياء ) ، كما ذكرنا سابقا ، لكي يبلغ بها ما يريد .

ومن أكثر وسائل تنفيذ مخططاته البدائية للحصول على نتائج علاقات جنسية سلمية مع الأنثى، والأنثى مع الذكر ، هي ( الايماءة ) ..

# الأيماءة و بناتها

أنها بداية التعبير المنظّم للانسان وقبله الحيوان والنبات ، لإيصال ذاته الى الخارج .. الى الآخرين ، سواءً من صنفه او سواه ..

إنه يحاول أن ( يتمسرح ) لكي يكسب مساحة أكبر من ( التعبير ) .

إن الحجم الذي يكونه الإنسان ، يسمح له بمحدود من ( الحركة التعبيرية ) ، فكان قد أتخذ طريقا أسهل بإيصاله المعلومات التي يريد إيصالها ، فكانت ( السيقان والأقدام ) و كانت ( الأذرع واليدين والأصابع ) .. و الأكثر أهمية ،، ( تعابير الوجه ) .

.....

لقد بدأ يتعلم ( كيف يتسع ) .

الفكرة في عقله وكل ما يحتاج هو أن ( ينقلها ) للخارج .

اذن عليه أن ( يجد الوسيلة ) .

و ها قد وجدها . !

أي :

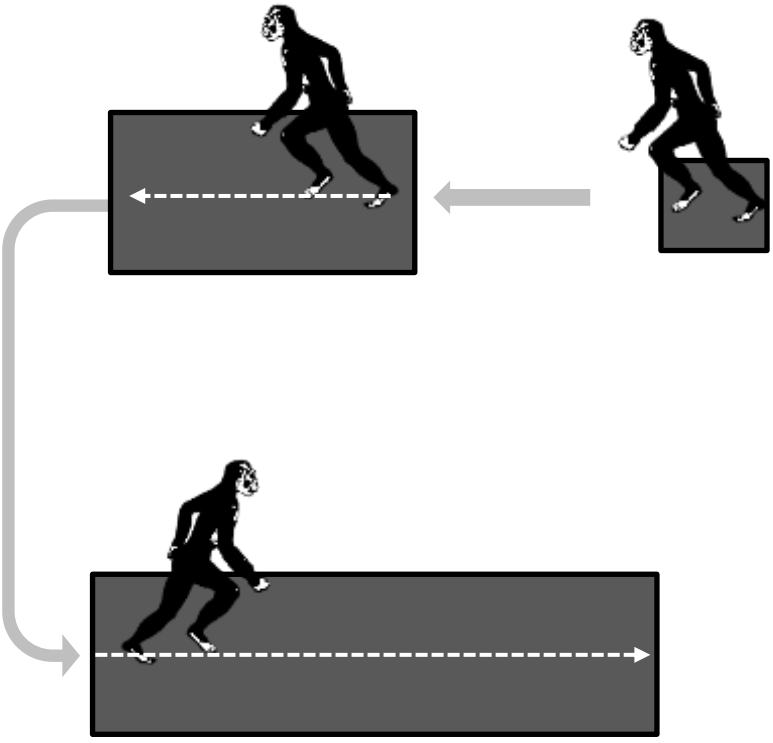

و ...

هناك شخص آخر ليس بعيدا عن هذا التمدد ، يحاول هو الآخر أن يكرر المبدأ ذاته رغم تفاوت القدرة على خلق هذه المساحات ..

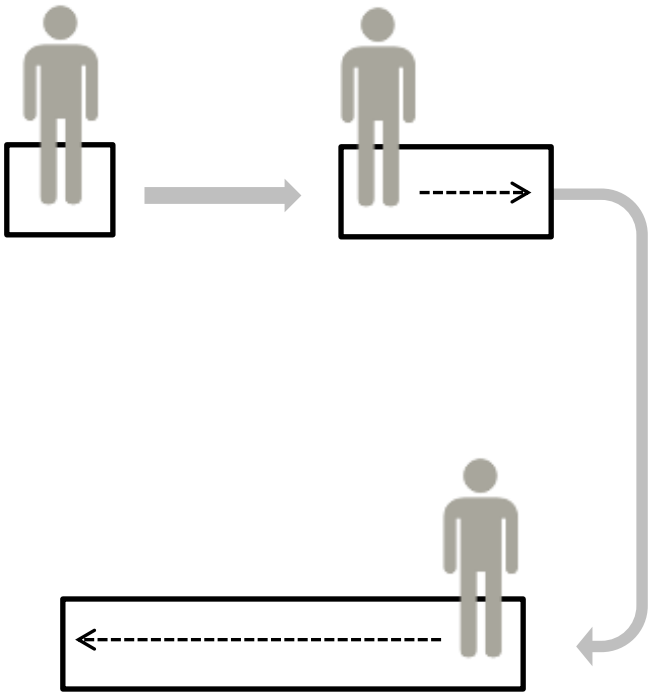

وهكذا تقابل الإثنان ... بقصد ، و ليس سهوا ..

كلاهما يروم التواصل مع الآخر لكي تزداد مساحة إنتمائه على حساب الآخر دون أن يعلم الطرفان أنهما يخدمان بعضهما البعض ايضا ، من خلال هذه ( العملية الأنانية ) المشروعة .

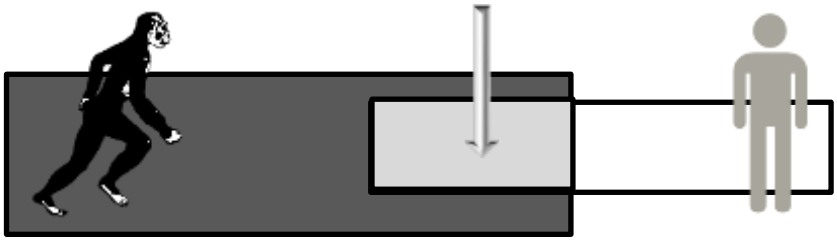

من الرسم التوضيحي السابق نستطيع أن نلاحظ أن هناك مساحة المستطيل الرمادي اللون ، و هو مساحة مشتركة بين الإثنين :

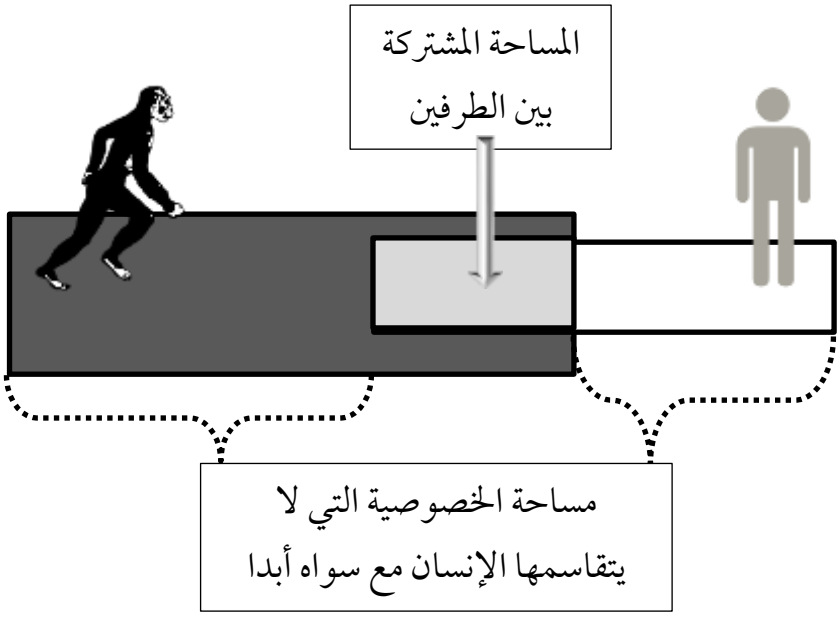

إن المساحة المشتركة بين الطرفين هنا ، تمثل أولى خطوات ( الإجتماع الحيوي ) للكائنات الحية ، والإنسان من ضمنها ..

إنها المرحلة الاولى من ( العقد السياسي ) البشري .
إنها الخطوة التي تمت بعناية فكرية من قبل أي من هذين الطرفين ،عقليا ، لترتيب الأوضاع المتوفرة إجتماعيا ، من أجل تحقيق أفضل جدوى حياة ، ممكنة .
إنها ليست عملية عفوية تخضع للفيزياء الطبيعية بل ( الفيزياء الحيوية ) .
إنها عملية ( عِلْم ) منظم .
فكلاهما سوف يشعر بأمان أكثر ، و أقل خطورة من ظروف الحياة التقليدية المتوحشة في حينها ، وحتى اليوم ، و كلاهما سوف يستفيدان من قصة الإختلاف الجنسي ، لكي يتناسلا ، وكلاهما يستخدم رفيقه الآخر ، لإستكمال ما لا يستطيع إنجازه لوحده ، فمثلا الأنثى ستقوم على شؤون السكن الأولي و رعاية النسل ، بينما يتفرغ الذكر للصيد والحماية و تحقيق الأمن للطرف الآخر .. وهكذا ..
وخلاصة العملية أن الإثنين على فائدة من ( المساحات المشتركة ) بينهما .
ومن الجدير بالذكر أن المساحة المشتركة بين أي انسان وآخر او بين الإنسان و مجتمعه هي سبب الإتفاق وبنفس الوقت هي سبب الإختلاف .. فمشاكل البشرية منذ بدأت الحياة والإستيطان وحتى اليوم تعتمد على ( تقاسم ) هذه

المساحة ( الوسطى ) التي يفترض أن تكون مشتركة بين الجميع ، كـ ( ملكية عامة ) وليست خاصة لأحد دون سواه .. بينما يقع الكثير منا بفخ الإستحواذ عليها او على جزء منها على حساب الآخرين ، مما يستدعي المناقشة او التناكف او الإختلاف وربما الخلاف وحتى الصراع الى درجة الحرب ..

هكذا يقود بعض الزعماء المؤثرين تاريخيا ، سواهم ممن يتبعونهم ، الى الحرب بلا مناقشة .. !

إنهم يقنعون أتباعهم بـ ( أحقيتهم ) بجزء او بكل هذا ( المستطيل ) فيقع الإختلاف مع الأطراف الأخرى التي تحاول إما الدفاع عنه ، او لها النية ذاتها بالإستحواذ عليها ، مما يؤجج صراعا دمويا مذهلا .. والسبب النهائي عدم الإتفاق على أن هذه المساحة المستطيلة ليست حكرا لـ ( أحد ) مهما كانت منزلته و أن ( أساس السلام ) يقع حين يتقاسم الأطراف هذا ( المستطيل الأوسط ) .

التاريخ البشري ، مليء بهذه النزعة الصبيانية التي يتزعمها ( قادة أفذاذ ) على شعوبهم ،

ولو نزلنا خطوة لوجدنا أن الخلافات الأقل مساحة جماهيرية ، كما هو حال الانسان مع عائلته او أصدقائه ، هي ذاتها المشكلة ، حيث الرغبة بالاستحواذ على ( المستطيل الاوسط ) القطيعي و إعتباره ( ملكية خاصة ) ..

ومن ذلك التنمر بـ ( الرأي ) الذي يولّد
( إختلاف وجهات النظر ) بالبداية
ثم يتطورالأمر أحيانا لحالة الإصدام
لتحقيق الهدف ، وحتى السلاح..
والحرب والموت ...

المستطيل الأوسط ، ليس مُلْكا لأحد ويجب إحترام ذلك ، بالرأي او العقيدة او الملكية الجغرافية .. تماما كما هي بنية الخدمات العامة للمجتمع .. فلكل منّا خصوصيته التي يجب إحترامها ، بشرط إحترام تقاسم الملكية العامة بين الجميع لتحقيق سلام نفسي ذاتي بين الإنسان و نفسه ، و سلام مجتمعي بين الإنسان و مجتمعه و بين جميع الشعوب على الكرة الأرضية .. على إفتراض أننا نستطيع تحقيق ذلك بالقريب العاجل لتوفير كلفة إضافية غير ما مرت به البشرية من فضائع الحروب و تقاسم الغنائم على حساب عبيد الله .. !!

وعودة لموضوعنا يمكن القول هنا إن العامل النفسي له أهمية كبيرة بعد الخدمة البدنية ، فذلك سيوفر لهما إحساسا عميقا بأمان أكثر مما لو كان كل منهما على إنفراد .

أن المساحة ( المشتركة ) بين الطرفين ستظل مساحة ( محدودة ) مهما إتسعت ، أما المساحة المتبقية ( غير المشتركة ) فهي ( الأنا ) الخاصة بأيٍّ منا .. وسوف لن تنطبق مع الآخر ، مهما زعمت المباديء الأخلاقية او سواها من وسائل النفاق المنظم .. كالشعر الرومانسي مثلا ...!!!

و كما هي الخصوصية الضرورية أخلاقيا ، هي العمومية المجتمعية الضرورية أخلاقيا ايضا ..

لقد إعتمد الإنسان على جسده للتواصل مع الآخر .. مع الآخرين ..

وهؤلاء الآخرون هم الطبيعة و أقرب البشر و الحيوانات والنباتات له ، فانشأ مستوطنة خاصة به ، سيما أن هذه المستوطنة ليست ملكا له وحده ، بل يتقاسمها

مع سواه ، ومن هنا بدأ التفكير بالكيفية التي يجب ( المحافظة ) عليها قدر الامكان .. و لأطول مدة ممكنة من الزمن .. فكان الدستور ..
الدستور البشري ، الذي بدأ بـ ( العقد السياسي ) ثم ( العقد الإجتماعي ) .

# اللغة

إنها إحدى العناصر المهمة جدا لإنشاء المساحات المشتركة مع الآخرين .

لقد بدأت المسألة بـ ( الايماءة البدنية المعبرة ) ، وهنا تدخل الإنسان ليقلد الحيوان بإيصال ما يريد و يستقبل ( ما يحب ) من خلال ( الصوت ) المنطلق من حنجرته ، باعتباره منفذا هوائيا كفوءا لإخراج الزفير ، ثم تنغيمه لتقطيعه .. و بالتالي تحويله لـ ( ذراع ) فعالة بإيصال الأفكار ..

لقد استخدم ساقيه ليصل ، ثم ذراعه ليمتد فيصل أبعد مساحة ، والآن جاء دور الوسائل التي تصل به أبعد من مجرد ساقيه او ذراعيه ويديه ..

انه الصوت ..

بدأت المسألة بإطلاق زفير غير منتظم للتعبير عن إنفعالاته فقط دون أن يقصد إرسال رسائل تعبيرية أكثر دقة للوصول للآخرين ، فطور الموقف بحيث ( أراد )

أن يرتفع بكفاءة هذا ( الزفير ) ليس مجرد بالتعبير عن إنفعالاته ، كالألم او الجوع او الجنس ، بل لتوزيع رسائل أكثر دقة مع سواه ، وخاصة مع البشر و الحيوانات المحيطة به .. فبدأ ( الهمهمة ) .

كانت هذه الهمهمة ، وسيلة غامضة بعض الشيء بالنسبة له ، وحتى لسواه ، فأراد أن يفسرها أكثر عما هي عليه لكي يستطيع الآخرون أن يفهمهوه ، فبدأ عملية مهمة للغاية و هي ( التقطيع الصوتي ) ..

وخلاصة ذلك .. إنه ( قطّع ) الهمهمة الى مقاطع ( منفصلة ) صوتيا ..

بعد هذه العملية ، بدأ الانسان يضع ( المعاني ) لكل مقطع صوتي .. ثم حول المقاطع الصوتية الى ( كلمات ) ، و بذلك ولدت ( جذور اللغة ) .. جذور أية لغة في العالم المعاصر ..

وهكذا : توفرت قاعدة بيانات رقمية برصيد كبير جدا من ( الإحتمالات الرياضياتية ) التي سمحت للانسان بإستخدامها كـ ( جذور ) لغوية لإنشاء ما نطلق عليه اليوم ، ( اللغة ) ..

إنها الوسيلة الأكثر كفاءة بالتواصل مع الآخرين .. حتى الآن من أجل هدف ، سوف يتكرر دائما بحديثنا هنا .. وهو توسيع دائرة التواصل والإنتماء للآخرين من أجل تخفيف وحشة وحدته ، و تعزيز طمأنينته ..

ومن تشكيل الكلمات ، تتشكل العبارة و الجملة ثم الموضوع ثم المؤلفات وهكذا .

وبذلك تسلّح الإنسان بوسيلة رائعة و مختصرة و ذاتية لا تحتاج الجهد الكبير بأيصال ما يريد للآخرين .. أصدقاءً كانوا أم أعداءً ..

العملية بدأت كعملية ( نحت تمثال ما ) ..

الحجر ، كما هو .. ثم الأزميل .. ثم العمل لإخراج ما يستحق أن يكون أكثر من مجرد حجر ، بل قطعة فنية جميلة ..

إنها عملية نحت منحنيات الهمهمة الى ( زوايا حادة ) أكثر وضوحا باعتبارها وحدات بناء ،

ثم ربطها بعضها لبعض

حيث العمل الفني ..الذي

نقول عنه .. ( لغة ) ،

بل اللغة الجميلة عن

اللغة السيئة ..

...

اللغة المهذبة عن غير اللائقة ..

..... الجمال المسموع ..

الهمهمة بحافاتها العشوائية الى حافاتها الحادة المُعبِرة :

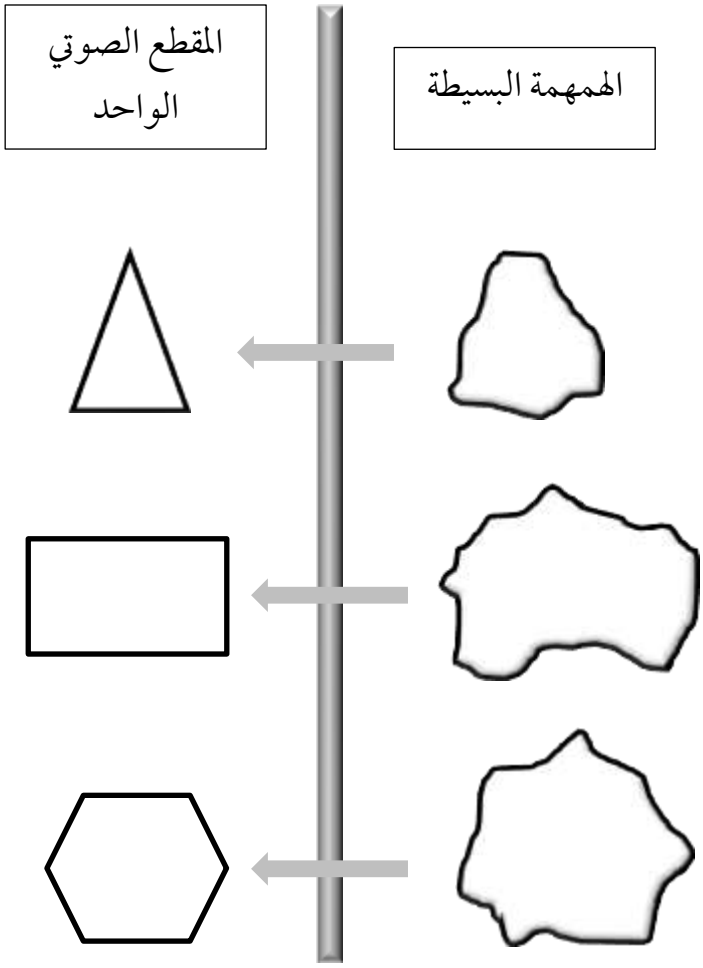

وبعد نحتها .. ربطها ،

كالطابوق من الطين ، ثم صف الطابوق بصفوف

متراصة ..

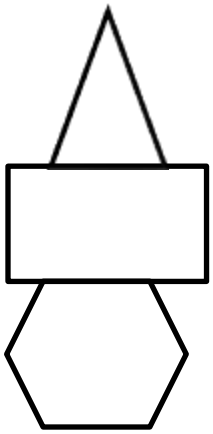




إنها عملية تطوير بـ ( سعة الهمهمة ) ..

لقد ولدت ( الكلمة البسيطة ) ..

الكلمة التي تعني ( شيئا واحدا ) او ( أمرا فكريا واحدا ) .. وهي التي تعني شيئا واحدا من المواد الطبيعية المحيطة بالإنسان قبل أن تتحول ( الكلمة الطبيعية ) هذه ، الى كلمة ( فكرية تجريدية ) معقدة ..

و لكي يستغل الإنسان هذه الميزة المهمة بالتعبير صوتيا عما يريد ، أصبح يضع للأشياء المادية المحيطة به ، مقاطعا صوتية معينة ، بعشوائية فطرية لا منطق فيها عادة .. و لكن الإتفاق عليها هو ما أكسبها ( قوة البقاء ) حتى اليوم .

كما إستغل الانسان مدّ بعض الحروف الأخيرة من أية كلمة ، ليطور مساحتها الإستيعابية مرة أخرى .. إمعانا بزيادة رصيده من هذه اللغة ..

إنها حروف ( المدّ الصوتي ) .

ومن هذا التنويع بدأت اللغة الزحف نحو الأشياء لكي ( تصفها ) ، ثم ( الإتفاق ) على أن هذه الأصوات المبهمة ، هي ( عناوين ) هذه الأشياء المحيطة بالأنسان في الطبيعة .. وفي حياته الشخصية والعامة على حد سواء ولكي يكتسب هذا الفعل قوته ، عمم الرجل البدائي ذلك مع أنثاه ، على نسلها ليتعلم هذا النسل وينقله بأمانة للجيل التالي وهكذا .

فكانت لغات الأمم عبر كل الجغرافية الأرضية وعبر كل التاريخ .

.....

إنها إتفاق على عشوائية .. بدلالة أن أيا منا لو أحب أن يفسر أية كلمة أجنبية كما هي ، دون المضي لمعرفة معناها ، فإنها عبارة عن نغمة موسيقية أقرب للدندنة ، ذات صفة لغوية فقط ، دون ربط هذه النغمة بمعناها ، الا بعد العودة للقاموس .

ومع ذلك فهناك من الكلمات التي إكتسبت الفاظها من تأثيرها ، مثل كلمة ( همهمة ) و ( خشخشة ) و غير ذلك ، وهي عبارة عن إستثناءات في المعجم الكلي لأية لغة ..

وكما بدأ الإنسان بـ ( الحركة الجسدية ) ليزيد من مساحة تواصله مع الآخرين ، بدأ بالتوازي لتوظيف ( اللغة ) بعد الهمهمة الى وسيلة أكثر كفاءة بالتواصل ..

والطريقة بسيطة للغاية وهي تشبه لحد كبير ، إنشاء منزل من أرض و طابوق و سقف ..

لقد إعتمد على الأرض ليسويها ، ثم جلب الطين وعمل منه الطابوق ، ثم جلب جذوع الأشجار ليقيم السقف .

كان المنزل ، قطعا ( متناثرة ) ، فقام بـ ( حصرها ) ، ثم ( فرزها ) ، ثم ( ربطها بعلاقة ) .. فكان المنزل .. وكذا الحال بالنسبة لتطوراللغة البشرية ، حيث المقاطع البنائية الاولى التي شكلت الكلمات والكلمات مع بعضهابـ ( علاقات ) لإنتاج ( مفاهيم ) عقلية جديدة كـ ( منتج ) ثم تطورت هذه الحزم الجديدة ، الى منتجات أكثر عمقا من خلال ربطها بعلاقات .. و تستمر العملية كلما إستلزم الامر ، الى ما شاء الله .

اذن .. اللغة نتاج كبير ، يشبه ناصحة السحاب .
تبدو جاهزة ، ولكنها أساسا إبتدأت بالطين
والتراب والحديد الخام ، و سوى ذلك من مواد
طبيعية متناثرة ، تم ربطها بعضها ببعض
بـ ( علاقات منطقية ) ،
لتكون ناطحة سحاب .
اللغة ( المعقدة ) الى حد ( التجريد ) ..
انها ( وليد ) ، متأخر ومتطور عن ( اللغة المركبة )
التي ولدت هي الأخرى من ( اللغة البسيطة )
التي وِلِدت من ( الكلمات البسيطة )
و ( المركبة ) و ( المعقدة ) .

ومهما يكن من أمر فان اللغة البشرية المعاصرة ، و التي إزدادت كفاءة بالإختراعات العلمية الالكترونية ، وسوف تستمر مستقبلا ، هي عبارة عن مجرد إحدى وسائل الإنسان ، بإستخدام العلم ، من أجل ( الأدب النفسي الذاتي ) أولا ، ليتفاعل ( مع نفسه ) ويفهمهما ، ثم يحول ذلك للآخرين من أجل ( الادب النفسي الجمعي ) ، ليعرف كيف يتواصل معهم من أجل أقل حرب ممكنة وأكثر سلام ممكن .

# التلحين و الغناء

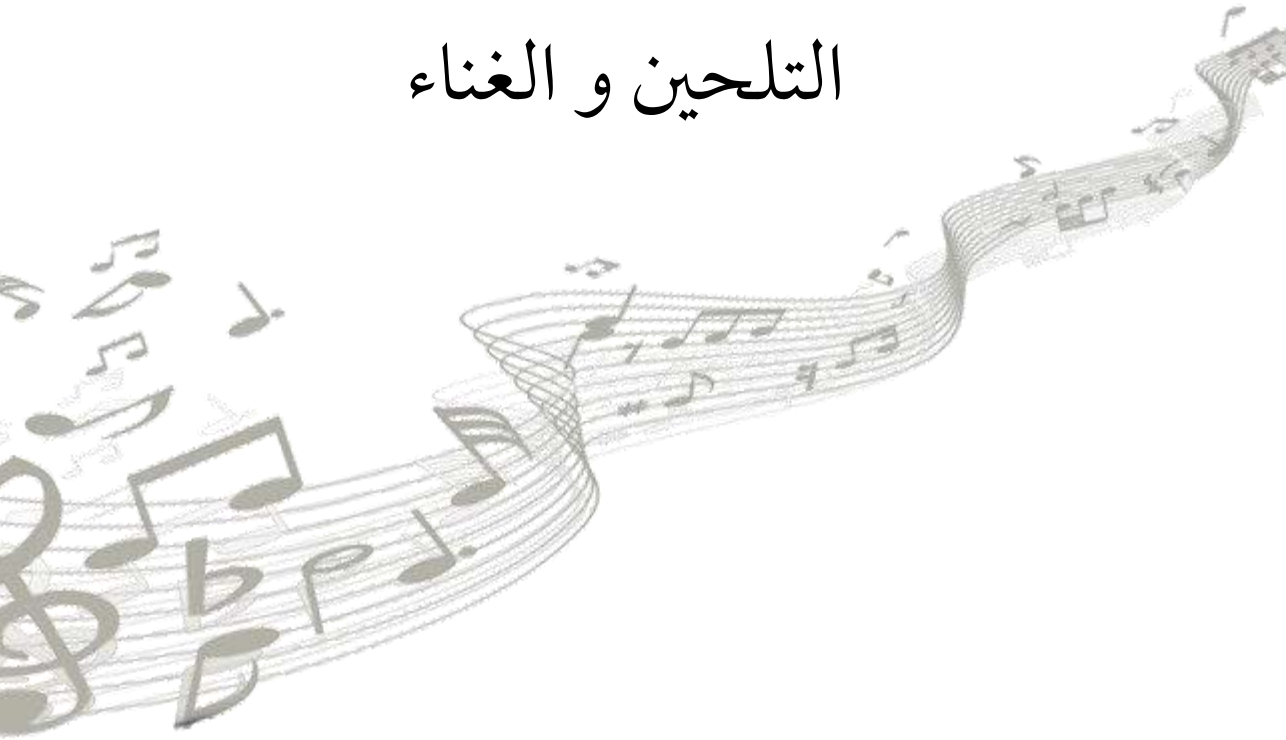

بعد أن إستطاع الإنسان مدّ ( الحرف الأخير ) من أي مقطع صوتي في كلمة مركبة من مقطعين او أكثر .. شعر أن زفيره يسمح بأن يطلقه مدة زمنية تكفيه قدر ما يكفي زفيره على ذلك .. فاذا كان المقطع الصوتي الاولي ( ساكنا ) ، كان مقطوعا بسرعة ولكن حين يكون متحركَ الآخر ، فانه يمده كموجة صوتية :

ومثال ذلك :

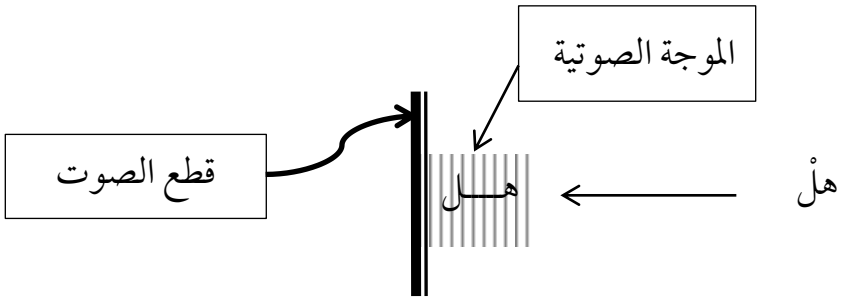


أما ، ( لَكَ ) :

عند رفع الحركات وإعتبارها حروفا فهي تنطق بالطريقة الآتية :

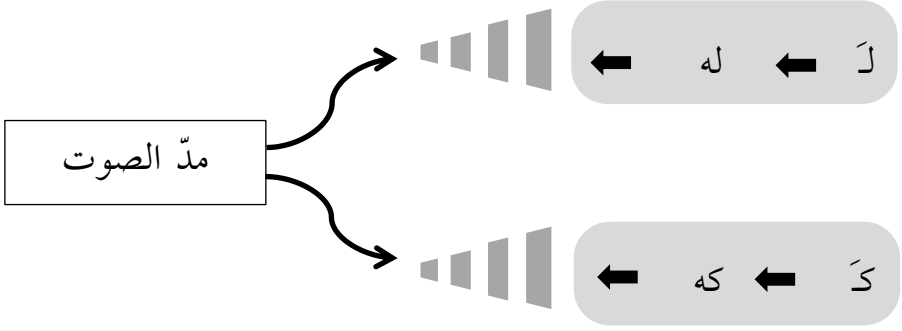


او أن يقصر الإنسان حين ينطقها بالمقطع الأول بينما يمدها بالمقطع الثاني ، كما هو موضح بالرسم الآتي :

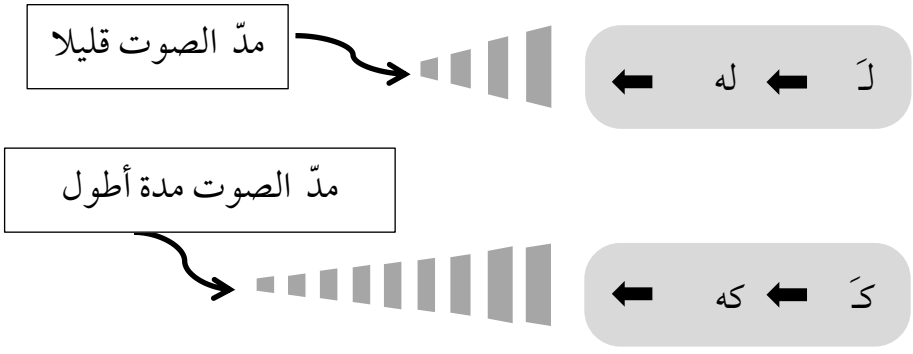

وهنا تصرف الإنسان بمدّ الصوت لأي مقطع يختاره .

ولم يكتف بذلك بل بدأ بإستعراض قدرته على التلاعب بإرتفاع هذه ( الموجة الصوتية ) .. فكان اللحن .. و كان الغناء ..

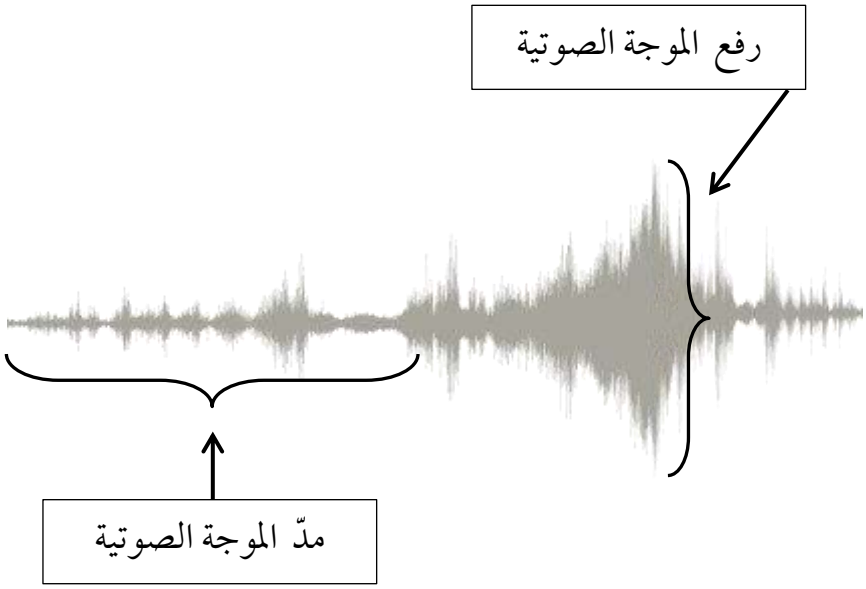


كان اللحن بتنوع أغراضه .. حيث الإنذار بالخطر و الإحساس بالفرح و الإحتفال ، و زعيق الحرب وهمسات التقرب للأنثى .. وهكذا ..

ومن هنا بدأ تلحين الكلمات ..

لقد أصبحت منصة ( الصوت الموسق ) ذات أهمية كبيرة مع مرور الزمن بتاريخ البشرية ، و أستفيد منها بالكثير من ( التراتيل الدينية ) التي عملت الكثير من أجل ربط الناس برابط الأمان النفسي من خلال الوثنية و الصنمية على أقل تقدير ، صوب العالم الآخر .. الاكثر أمانا .. مقارنة بالحياة ..

و كذا بالنسبة للأديان السماوية الشريفة التي وضعت البشرية على السبيل الصائب ايضا ، إضافة للمناسبات الإجتماعية غير الدينية التي أضافت للإنتماء البشري الكثير ..

كما بدأ بـ ( إستطالة ) صوته من خلال ( الآلات الموسيقية ) ..

لقد توسع قدر ما استطاع بصوته الخاص ، ثم بأية آلة توسّع ايضا من مساحة إستخدام هذا الصوت .. فكانت الآلات الموسيقية ، القديم منها و ما استُحدث تاريخيا وما سوف يُستحدث في المستقبل .. وبلا توقف ، فكان الناي و البوق و سواهما من الآت النفخ الموسيقي وكانت ( الطبلة ) بكل أشكالها المعروفة لدى جميع الأمم وعبر كل التاريخ حيث إستخدم الإنسان يده هذه المرة بدلا عن صوته ، لتوسيع مساحة إستخدامه العقل ، وكل هذا من أجل جميع ما نحن به من الفنون .. الدينية والدنيوية .. للكبار والصغار .. وحتى الرضع منهم للهدهدة .. وهكذا أصبحت اللغة وسيلة فعالة جدا بنقل الأفكار ، ليس في عقل الإنسان الواحد الفرد فقط حين رتّب هذه الأفكار ( علميا ) ، حسب ( معادلات ربط ) هذه الافكار لـ ( إستخراج أفكار ) أكثر كفاءة وجدوى له ، بل أن العملية تطورت لحد نقل كامل أفكار أي منا الى سواه من خلال ( الكتابة ) ، سواءً ما بدأ بها التاريخ على الجدران و سقوف الكهوف و المعابد و سواها ، الى الطباعة الورقية .. ثم الطباعة الالكترونية .، وهكذا ..

لقد تشابكت المعرفة البشرية خاصة بعد بداية الألفية الثالثة لحد تحويل العقل البشري ( المفرد ) الى عقل ( جمعي ) مشترك لحد كبير دون الغاء ، طبعا ، خصوصية عقل أي منا ، كما ذكرنا سابقا ، ( المستطيل الاوسط ) .

لقد تم كل ذلك حسب نظام دقيق ، فكانت الخدمات المتقدمة علميا بمضمار تحسين حالة البشرية ( خدميا ) ، وكانت بمضمار الواقع النفسي للانسان وعاداته و موروثه و تاريخه ..

إن جميع ما ذكرنا من المتبعثر ، كان حروفا متفرقة في العالم الطبيعي والنفسي للانسان .. وتحولت بالعلم الى أرقام ثم عادت له كحروف متطورة خدميا .. الشفرات الرقمية المعتمدة بصناعة الحاسبات الالكترونية .

ولكي يضمن هذا الإنسان إنتقال أفكاره بعد عملية ( العلمية ) هذه ، فقد طوّر نوعا من الوسائل القابلة للفهم السريع والتي تقع ضمن معالجة الآخرين بطريقة سهلة الفهم و قابلة للتطبيق فكانت ( الأجناس الأدبية والفنية ) المعروفة اليوم ..

# الموسيقى والشعر

لقد ذكرنا قبل قليل كيف أراد الإنسان أن يضع لبعض الكلمات ، نمطا معينا تترادف به الإيقاعات الصوتية ، فكان ( الشعر ) .. و لا أقصد بذلك الشعر المسمى ( الشعر الحر ) او ( الشعر الحديث ) ، حيث الخلو من القافية و المقاطع المتتالية الإنتظام ، حسب ما هو معروف تقليديا .. فاللغة العربية مثلا ، كأية لغة ، فيها من ( المقطعية ) ما سمح بأن توضع لها نوتات موسيقية ، تدعى ( بحورا ) ،

ذات قاسم مشترك موسيقيا ، لتمييز بعضها عن بعض ، فكان ( العروض العربي ) للشعر منذ أكثر من ألف سنة ، بعد أن التقط ( الخليل بن أحمد الفراهيدي ) ، ما كان سائدا في حينها كـ ( إيقاعات ) ، و لملمَ الشعر المتناثر من الرجز مثلا وسواه ، و وضع له قواعدا مدونة بطريقة رقمية ، فكانت ( بحور الشعر ) .

إن ما يسمى بـ ( البحر الشعري ) ، بأية لغة من لغات العالم ، ليس إختراعا ، بل إكتشافَ ما في اللغة من موسيقى ، لا أكثر ولا أقل .

لم يأت الرجل بهذه البحور ليطلب من أحد أن يتوخاها ، أي لم يخترعها بل إكتشفها .. وهناك فرق كبير بين الإثنين .

لقد ساد ما هو عفوي بين العرب في حينها ، بوضع موسيقى معينة لبعض الجمل ، فكان الناس يقولون الشعر بموسيقاه دون أن يدركوا قواسمه المشتركة ، فجاء الخليل بن أحمد ، ليضع لها ( وحداتها البنائية ) أولا ، المقاطع الصوتية ، ثم إنطلق لوضع ( العلاقات ) في بينها ، ليتركب ( البحر الشعري ) بطريقة سلسة دون أن يفرض علينا ، موسيقانا اللغوية .

إنه الشعر الحق .

لقد وظّف العلاقات الرياضية ، في متبعثر الكلمات ، و ليس العكس ..

فاذا كانت المعاني جميلة او مؤثرة او حكيمة ، كان الشعر جيدا .. وهكذا ..

وبما أن الموسيقى ليست وليدة الخارج لكي تفرض نفسها على ( ذائقة المستمع ) او المتلقي .. بل هي القوالب الجاهزة في عقل أي منا ، بانتظام و ترتيب ، فاذا تلقى الإنسان ما يرغب سماعه ، جاء مناسبا للقوالب الموسيقية المتجذرة في عقله

منذ أن كان بدائيا .. وحتى قبل كل ذلك بكثير حين كان مجرد تجمع مركبات كيمياوية من عناصر أولية .. !!

إن ( الموسيقى ) بلا كلمات ، ليست كما يظن البعض ، مجرد أصوات مبهمة لأنها بلا كلمات ، بدلالة أن الكثير منّا يستمتع بالموسيقى ( وحدها ) حينما تكون مناسبة لأذواقنا ، حتى لو لم تكن مرتبطة بكلمات شعرية .

و حين تدخل هذه الموسيقى بمقاطعها ، ستكون ضيفة على عقولنا ، فإما أن تجد قوالبها جاهزة لإستقبالها ، و بذلك تكون الموسيقى التي تم الإستماع لها ( جيدة ) بل ( رائعة ) ، و إما أن تجد بعضها فقط ، و المتبقي لا يدخل بل ينسحب للخارج كما دخل بسرعة .. وهنا تصبح الموسيقى ( نصف جيدة ) ، و البعض من هذه المفردات الخارجية ما لا يجد له قالبا ، وعندها تكون الموسيقى ( سيئة ) .. كما يقول البعض منا حين لا تعجبه القطعة الموسيقية ..

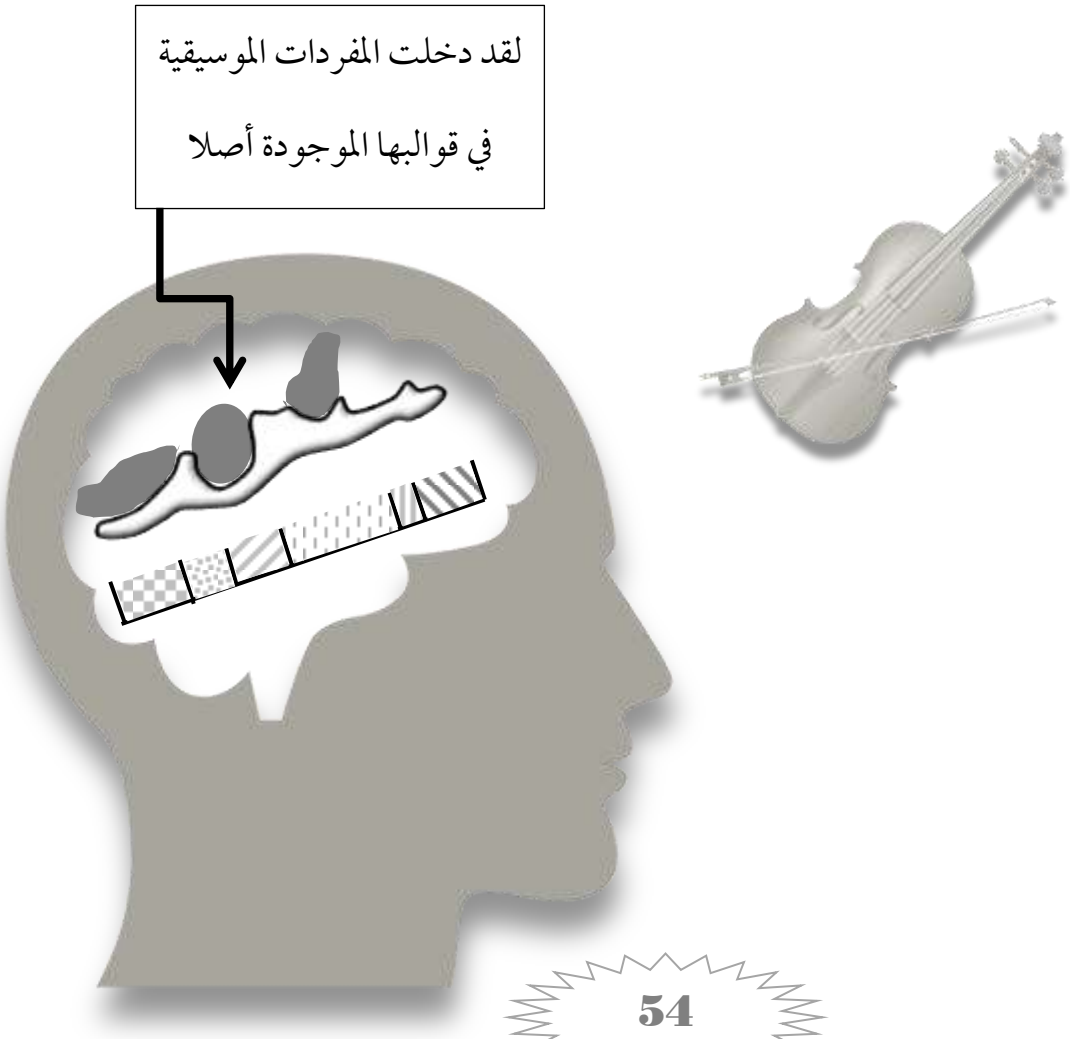

وبما أن الأذواق مختلفة و متفاوتة حسب البيئة المكتسبة للانسان إضافة لموروثه القديم حتى أول أسلافه .. فإن ( تقييم جمالية ) أية قطعة موسيقية ، مهما كانت من العبقرية أو السوء .. يعتمد على هذا ( الإختلاف و التفاوت ) ، ولذا لن تجد على الاطلاق ، الإتفاق ( الكامل ) على حسن او سوء الموسيقى في عالمنا البشري .

.....

إن ما يسمى ( الأذواق المختلفة ) ، هو ما أقصده .. فلا عيب بالموسيقار .. ولا عيب فيمن يضيف كلمات شعرية لموسيقاه ..

إن تنوع الجمهور هو سبب تفاوت الجودة بالإستحسان ..

ولكي يستخدم الشاعر ، او من يمارس ( الكتابة الموسقة ) ، الآلات الموسيقية فانه إكتفى بالوزن الشعري كذائقة في قوالب موسيقية جاهزة لدى المستمع .. وبهذا يكون ( الشعر الغنائي ) ، مرحلة ( متقدمة ) عن ( الشعر التقليدي ) الموزون شعريا ، طالما إقترن باللحن ، أي القالب الموسيقي ، في عقل المستمع حتى لو كان حيوانا او نباتا .. فكلاهما ، الحيوان والنبات ، هما الآخران يستذوقان الموسيقى ، كما هي ، او بكلماتها .. ولكننا لم نجد بعد الوسيلة المناسبة تقنيا لكشف ذلك حتى اليوم .. و ذلك لا يعني الغاءها طبعا ..

فاذا كان ولابد .. فيجب ايضا أن يضع هذا المؤلف ، من الكلمات ما يناسب الموجة الموسيقية الجميلة ، فكانت ( كتابة الاغاني ) حسب موسيقى جاهزة في عقله هو أولا ، حيث يقوم بنقل الكلمات على قوالب اللحن في عقله ثانيا ، او لنقل اللحن على الكلمات بما يراه مناسبا لذائقته ( الخاصة به هو ) ، والأكثر من

ذلك ما يناسب ذائقة المستمع ، أفرادا او مجموعة من القريبين عليه ، لإثبات تواصله معهم و رغبته الأصيلة بالإندماج معهم .

اما الحلقة الثالثة وهي ( الأداء ) ، فاذا كان صوته ما يسمح بذلك ، أدى الأغنية بكلماتها ( الموسقة ) ولحنها الجميل ، بصوته الرخيم ، فكانت الأغنية المعبرة إجتماعيا ، من أجل ( أنا ) الإنتماء ، بثلاثيتها الناجحة ، الكلمات واللحن والاداء .

سيما أن الأداء ( الجميل ) صوتيا من قبل أي إنسان يغني ، بالنسبة للمستمع فهو ايضا معرض للاختبار في قالب جاهز في عقل المستمع ، فاما القبول او التردد او الرفض .. لقباحته ..

هو الآخر له قالبه الخاص في العقل ..

ولهذا فان عرض أية أغنية عبارة عن ثلاث مراحل من الإستحسان تصاعديا :

أولا : الأداء .

ثانيا : الغناء .

ثالثا : الطرب ..

إعتمادا على تناسب المادة الغنائية من حيث التأليف و التلحين والاداء ، مع قوالبها في عقول المستمعين ..

# الموسيقى وتأثيرها على الطبيعة

لقد أثبتت التجارب العلمية المعاصرة ، أن الموسيقى ، بكلمات او بدونها لها تأثير على إستماع الإنسان والحيوان وحتى النبات .. ولا أدري مقدار تأثير الموسيقى على ( الطبيعة ) الميتة حتى اليوم ، بل ربما سيأتي اليوم من تاريخ البشرية المستقبلي الذي يثبت به العلم أن المواد الطبيعية ( غير الحية ) ، هي الإخرى تتأثر بالموسيقى و تتفاعل معها و تؤثر عليها بقدر او بآخر ، لحد ( تغيير ) مركباتها الداخلة في تركيبها الكيمياوي .. !!

لقد وضع العلماء مجسات سمعية
على بطن المرأة الحامل ،

و جربوا تأثير الموسيقى على الأجنة ..
و كرروا التجربة على أكثر من سيدة حامل ،
ثم كرروها بتنوع الموسيقى ،
من حيث إرتفاع الصوت وإنخفاضه ،
ومن حيث نوعية الموجات الصوتية بين الهاديء والصاخب ،
فاتضح بما لا يقبل الشك أن الجنين الذي يتلقى ( موسيقى هادئة ) ، قد خرج الى الحياة و هو أكثر إستقرارا نفسيا ، مقارنة بالوليد الذي تعرض لـ ( موسيقى صاخبة ) أثناء الحياة الجنينية ..
كما أجرى العلماء التجارب ذاتها على النباتات تحت سيطرة مختبرية علمية دقيقة فاتضح الأمر ذاته ، حيث نمت النباتات التي تستمع لموسيقى هادئة أكثر من النباتات التي تعرضت لموسيقى صاخبة وهكذا .

اذن ، لدينا قاعدة بيانات تؤكد أن الجنين والنبات ، و كذلك الحيوان ، لهم ردود أفعال نفسية على الموجات الصوتية الموسيقية .. وليس الامر حكرا على الإنسان فحسب ..

ولكن لو قفزنا ، إفتراضا ، الى درجة الطموح بالإستنتاج و أردنا تطبيق الأمر على الطبيعة ( غير الحية ) .. على المواد الجامدة كما نطلق عليها ..

فهل للموسيقى تأثير عليها .. ؟

و أي نوع من الموسيقى .. ؟

بل أي نوع من الموجات الصوتية ؟

وهل بالامكان الإستفادة من ذلك على مستوى الكرة الأرضية ، لتنظيم العوامل الطارئة التي نتعرض لها كبشر بين الحين والآخر من تقلبات طبيعية على مستوى العالم كله ؟

الجواب لِمَ لا ؟

.....

إنه إفتراض معقول ... و لن يكلف أكثر من دراسة علمية ، على مواد طبيعية أصغر من الكرة الأرضية ، مع تطبيق سلسلة من أنواع موجات صوتية معينة تُبثُ على هذه القطعة الطبيعية المختبرية لمعرفة تأثير ذلك ، فاذا كانت النتائج مشجعة فلماذا لا يتم تعميمها و توسيعها ، ثم البدء بإنشاء مراكز عملاقة على الأرض او في الفضاء للتأثير على القشرة الأرضية وحتى العمق منها ، للسيطرة على الظواهر الطبيعية غير المتوقعة و تخفيف الكوارث الطبيعية التي نتعرض لها بين الحين والآخر . ، كما هو الحال بالنسبة للزلازل و الفيضانات و الإنزلاقات القشرية

للكرة الأرضية بل ربما توسيع الأمر للسيطرة على القمر مثلا وحتى الكواكب القريبة منا ..

إنني أفترض فقط .. فنحن ببداية الألفية الثالثة ، ولسنا في آخرها ولا في الألفية الرابعة او السابعة ..

أقول ربما.. !!

ولماذا الأمر يبدو منطقيا ؟

إن الموجات الصوتية القوية التي نتعرض لها في حياتنا اليومية تسبب إهتزاز الأجسام المحيطة والقريبة من مصدر الصوت .. والصوت عبارة عن موجات ذات ذبذات ، ولهذا يمكن حساب ذلك بدقة .. ثم إجراء التجارب من خلال القيام بـ ( العكس ) ..

لماذا لا نجرب العكس ؟

أي أن نسلط موجات صوتية موسيقية نحو جسم ( يهتز ) او يتحرك بحركة مقصودة من قبلنا تحت التجربة ، ثم نلاحظ مدى تأثير موجاتنا الصوتية هذه عليه ؟

فربما نستطيع السيطرة على إهتزازته بموجاتنا ..

أي أن نسيطر عليها بموسيقانا المدروسة التي قد لا تشبه ما نعرفه اليوم من الطابع الموسيقى التقليدي ، و تحويل الأمر لجهاز يبث هذه الموجات ، للسيطرة على جسم ( يهتز ) وهو في مكانه ؟ فربما نستطيع أن نخفف هذه الإهتزازات التي يعيشها هذا الجسم ، وربما إيقافها ..

بل الأكثر من ذلك ربما التلاعب به و تحريكه حسب ما نشاء ..

بمعنى ، التأثير عليه ( فيزياويا ) حسب القوانين العلمية التقليدية للفيزياء ..
أي نستطيع أن نوجه للجسم ( الميت ) في الطبيعة من الموجات الصوتية ما يكفل إيقاف نشاطه ، او تفعيل نشاط نحن من يحدده له ، بما يضمن تجنب مخاطره من ناحية و من ناحية أخرى الإستفادة منه لخدمتنا ..
لنأخذ قطعة صخرية بحجم ( متر مكعب ) مثلا ونجري عليها التجارب من مصدر صوتي متعدد الموجات والقوة ..

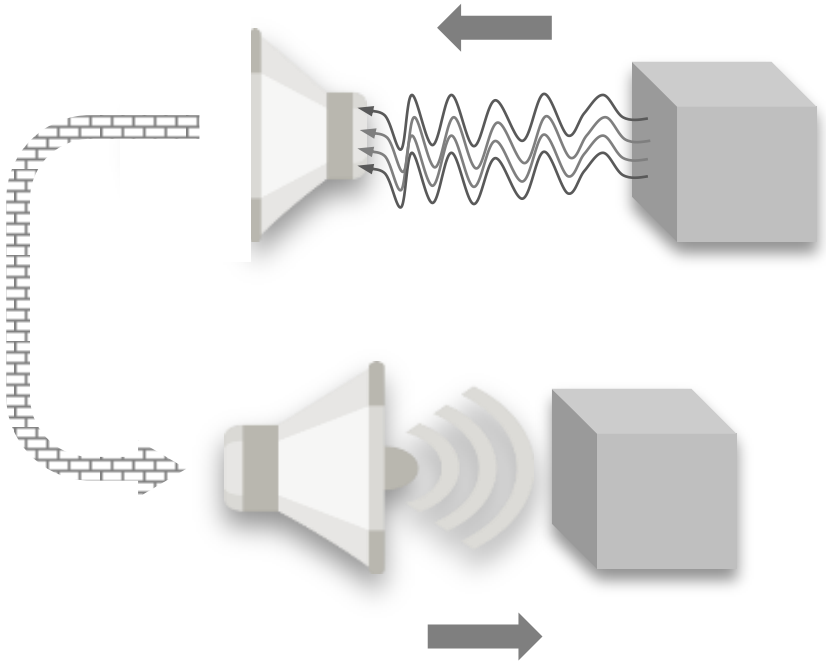

ثم نحاول العكس ، حيث نأخذ نفس القطعة الصخرية و نعرضها لموجات صوتية محددة القيمة ( علميا ) ، ثم نسجل تأثير ذلك عليها ، و بتوسيع هذه

الدراسة نستطيع تعميم الفكرة كـ ( مبدأ عمل ) ، فربما ، نستطيع النجاح بالتأثير على الطبيعة من خلال فعل منظم موسيقيا ، للسيطرة عليها ..

و مهما كانت النتائج فلا بأس من المحاولة .. فاذا نجح الأمر ، بالامكان تكبير العملية الى حدود ما تحتاجه البشرية كلها ..

أنا آسف وقد مضيت بعيدا ، بالمستقبل .. ولكنه افتراض منطقي فحسب ، وربما أكون على خطأ .. !!

المهم وما نحن فيه اليوم ، من هدف بسيط ، ربما يضاف لنا ، وهو أن جميع الأجناس الأدبية والفنية ، ليست الا مسميات أضفناها خلال الخمسة او سبعة الآف سنة من تاريخنا البشري ..

إن الانسان المعاصر ، ليس نهاية سلسلة التطور الحيوي للبشرية ، لا هو و لا مسمياته ولا أسسس حياته .. بل نحن جزء من سلسلة زمنية لها مكانها الحاضر ، مع المستقبل اللانهائي الذي يحتمل أي إفتراض منطقي .

لا نعرف ما ستؤول له البشرية بعد عشرة الآف سنة من الآن .. ولكننا نستطيع أن نتلمس ما سيقوله عنا أحفادنا .. !

إنها محاولة ( تطفل محمودة ) أكثر مما هي عبث إستعراض لغوي من قبلي او من قبل أي منا ، حاليا ..

نحن أبناء مرحلة وسطية فقط ، من مراحل التاريخ البشري .. ونحن حاضره .

ومع ذلك .. علينا الواجب أكثر مما لدينا الحق ، بأن نرتب أوضاعنا على مديات المستقبل القريب والبعيد و البدء بتحضير الجداول القابلة للتطبيق يوما ما ، من قبل سوانا ..

إننا أبناء العلم و الواقع ..

لنحاول أن نكون آباء .. !

سنحاول قدر الإمكان تخفيف حدة الإستسلام الوجودي الإلزامي .. إن لم يكن ببناء أفضل ما يمكن ، نفسيا و طبيعيا ، فعلى الأقل تخفيف خسائر الغفلة والسطحية والسذاجة التي يقف عليها الكثير من رفقاء رحلتنا المعاصرة على هذه الحافلة الصغيرة ، المسماة ، كرة أرضية.

.....

إنْ لم نربح ، فسوف لن نخسر ..

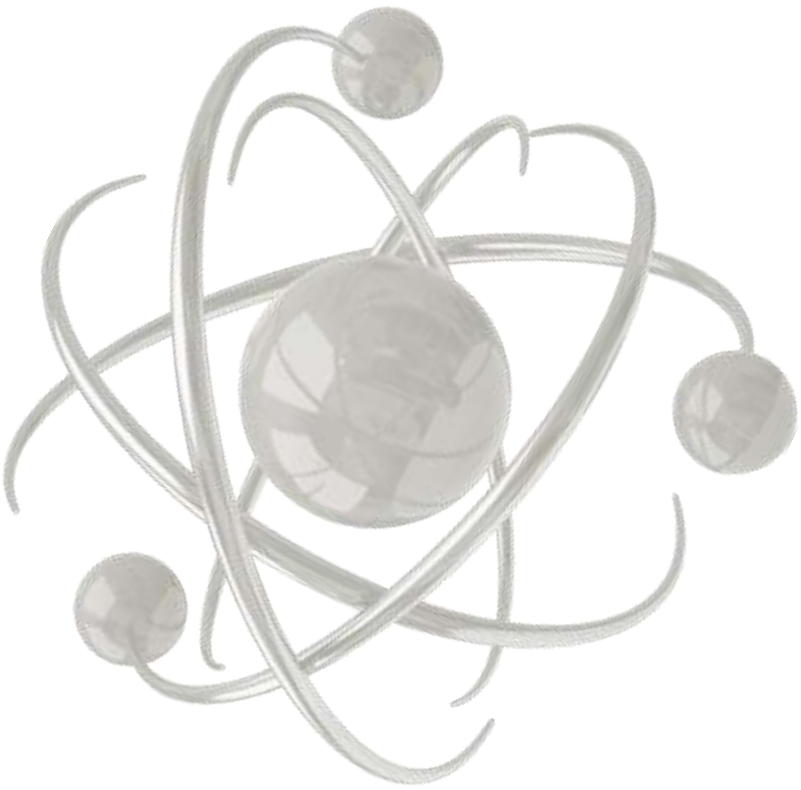

# النثر

.....

# ( الحكاية والقصة والرواية )

بدأ النثر البشري ، حين بدأ الذكر والأنثى في العصور الغابرة ، التواصل مع نسليهما ..

التوصيات بالحذر و التنبه عن المخاطر و النصيحة بالصيد و الموعظة بالسلام و الحث على الحرب و التشجيع على الفروسية وما الى ذلك .

كانت ( الموعظة ) المناطة بالأب والأم ، هي أولى الرسائل الأخلاقية النثرية غير المنتظمة بـ ( أرشفة ) ..

كما كانت ( المشافهة ) هي أساس التفاهم لإيصال المعلومات المهمة الخاصة بتجنب الخطر و الكيفية التي يعيش بها الإنسان .. ولكي تكتسب هذه ( اللوائح ) طابع المتعة من أجل القبول ، كانت ( الحكاية ) ..

الحكاية العائلية البسيطة .. فاذا سمع بها أحدهم وأعجبته نقلها لعائلته ثم تطورت حتى بلغت مساحات واسعة من الاتصال بالآخرين ، فتذكروها عبر الزمن ، لتتحول تدريجيا لـ ( تراث شعبي متوارث ) ..الى حد ( الأسطورة ) .

وكان العامل المساعد الأكبر بانتشار هذه الحكايات ، هو ( عموميتها ) التعبيرية مما جعلها تخرج عن حدود النصيحة المعنونة بأسم أحد ما ، كتجربة شخصية الى درجة ( المبدأ الاخلاقي ) ، رغم مجهولية من حكاها و من الّفها و من نقلها ..

ولكي تضمن هذه الشعوب خلود هذه الحكايات ، فقد تم تدوينها في البداية كـ ( رسوم ) على الجدران في المغارات و البيوت الطينية ثم المعابد .. و لكي تتقدم الفكرة أكثر فانها توثقت من خلال ( الكتابة ) .. فكان الحفر على الحجر وما الى ذلك مما نعرف اليوم من تراث الأجداد المدون على السطوح ، ثم ورق البردي و الجلود الحيوانية ثم الطباعة الالكترونية ، لخزنها والإستفادة منها قدر الإمكان من أجل أقصى جدوى ممكنة ..

إنها هي الأخرى ، عملية ( رقمنة الحروف ) ، و ( علمية ) الأدب .

وكما هي ( رقصات الشعوب ) المختلفة في جميع أنحاء العالم ، هي اللغات ، وهي الأرشفة المكتوبة ، وهو الشعر المغنى و الشعر غير المغنى و الحكاية والأسطورة ..

إنها عملية ، أساسها ، توسيع دائرة التواصل الإنتمائي بين الإنسان ، مع كل ما عداه من أجل تحسين كفاءة إستخدام ذلك ، خدمة له ولسواه و تحقيقا لأقصى حالة أمنية مسالمة ممكنة ، حتى لو إقتضى الأمر الحرب .. !!!

لقد إستخدم الإنسان البدائي دائرة تفكيره الشخصي أولا لخدمته مع أقرب ( من ) و ( ما ) يكون له ، بآلية ( علمية ) ثم تطورت مساحة التواصل حتى بلغت

مستوى البشرية كله ، ثم استعانت كما هو اليوم بالعقل الصناعي المتقدم عن العقل البشري في بعض المجالات السريعة المعالجة ، كالحاسبات الالكترونية الكبيرة ، ولكن يظل الإنسان في نهاية الأمر تحت حالة مزمنة من ( القلق الوجودي ) الذي يرافقه طالما هو حي ..

فاذا تقدمت الحكاية ، بدأ البعض من البشر ، بحكم الإستعداد الوراثي والمكتسب أن يستفيد من هذه الظاهرة ، ليؤسس لنفسه أسطورة يريدها أن تكون خالدة ، فانشأ القصة القصيرة و الرواية ..

الأمر ليس بعيدا عن الحكاية البسيطة التي يؤلفها الأب او الأم ، ليضع في عقول أبنائهما ، الحيل الكافية للتخلص من القلق او لزرع القلق ، تخلصا من الخطر المحتمل من الغابة .. و ما تطور عن ذلك فأصبح الخوف من المجتمع .

فما كان شفهيا ، أصبح مكتوبا .. وما كان بسيطا قصيرا ، أصبح معقدا بحبكة روائية تثير الإنفعال ، بصرف النظر عن نوعه ، و المهم بالأمر هو أن يثير الحاكي او القاص او الروائي ، إهتمام المتلقي لكي يظل بإنتظار النهاية ..

ومن هنا بدأت ثلاثية الحكاية .. المقدمة والحبكة والنهاية .. ما يسمى ( الدراما ) .. و على قدر إقتراب هذا الهيكل الثلاثي ، من ( القوالب ) الموجودة في العقل البشري المتلقي ، على قدر نجاح هذه الحكاية او القصة القصيرة او الرواية ..

لا جديد بالأمر ، بإستثناء إستثمار عامل ( الربط العلمي ) للأحداث في عقل المؤلف قبل إطلاقها لعقول الآخرين .. اذ أن النتائج المترتبة على ربط الأحداث ، جديدة لحد الإثارة دون الدخول بتفاصيل بنائها ، تماما كما جاء ذكره سابقا من

حيث بناء منزل من طين وتراب وماء و حديد وما الى ذلك ، ثم ربط هؤلاء جميعا لكي يصبح الناتج منزلا مفيدا ، أكثر من وحدات بنائه الأولى ..

الأفكار ، كالأشياء ... حين تتحول من ( وحدات بناء ) الى ( منتجات ) ذات قيمة نفعية او مسلية او مفيدة .. و في جميع الأحوال فإن العامل الأساسي بالعملية هو ( العلمية ) التي ربطت الحروف بعضها لبعض بطريقة رقمية ، بـ ( علاقات ) لتنتج ما هو نافع او مسلٍ او مفيد .

إنها ليس أكثر من أجناس ( أدبية ) تتفرع عن الأصل .. عن ( مبدأ ) التمدد للآخرين ، إن لم يتمدد الآخرون له ..

ومن هنا نشأ مبدأ ( الشهرة ) و النجومية والزعامة .

# الشهرة و النجومية والزعامة

إنها دوافع متأصلة بالنفس الإنسانية .

في الإنسان ..

إنها محاولة الوصول للآخرين بأسرع وأقوى وأقصر ما يمكن لكي يعرفوه ..

لكي يضعوه في حسبانهم ..

لكي لا يتجاهلوه .. فلا يشعر بالوحدة ..

أراد أن ينتمي لهم بهذه الطريقة .

أراد أن يتقربوا له .. فتقرّب لهم ..

أنه ليس مضطرا أن يكون مشهورا بأي باب من هذه الأبواب ، لكي يكون معروفا ومحترما ، قدر ما يريد أن يكون آمنا ، منهم ... و بهم .. وعليهم !!

أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد .. أن يتخلص من شرّهم ، وأن يكسب خيرهم .. فيكون قد خسر بعضا من قلقه .

الحيوية .. قلق أزلي .

إن الكثير ممن نعرف من ( نجوم المجتمع ) ، في شتى أنواع الإبداع الأدبي والعلمي والفني والسياسي والعسكري وسوى ذلك ، لم يكن لديهم هدف محدد في الغالب ، الا الشعور بالطمأنينة من خلال ( الشهرة ) التي توفر الأمان ، كما ذكرنا قبل قليل ..

وحتى من شذّ عن ذلك ، بداعي الفائدة العامة ، دون أجر او شهرة او مصلحة ، فهو مجرد ( لف و دوران ) حول الحقيقة .. لأنهم يشعرون بالسعادة الداخلية مع أنفسهم حينما ( يخدمون سواهم ) ، وكأن همهم سوف يقلّ حينما يقومون بذلك ، أما الحقيقة الأبعد عن واقعهم ، فهي ( أنانيتهم الخيّرة ) التي يريدون من خلال الطمأنينة النفسية أولا ، و فائدة الآخرين ثانيا.. وليس العكس .. !

الشهرة ، إحدى جذور الإنسان ، التي تجبره على إستخدامها ، وبأي سعر كان ، في العادة .. و من الصعب السيطرة على الكثيرين منا ، لكي ( يفرمل ) ذاته دونها ، قبل أن يقدم خسارة كبيرة من راحته الجسدية و حتى سمعته أحيانا ..

وليس الأمر متقصرا على الكبار ، بل هي متجذرة حتى لدى الاطفال في سني حيواتهم الأولى .. من خلال التميز بالمدارس الإبتدائية و ما فوق ذلك .. بل في كل المحافل منذ الطفولة حتى سن الشيخوخة ..

ولهذا فإن ( الإهتمام ) أي ( الرعاية ) ، وأقصد طلب الإهتمام من الآخرين ، ، يشكل العمود الفقري للتعامل الخيّر الإنساني مع من يحتاج ذلك ، وخاصة

المُسنين من الناس، الذين يجدون أنفسهم على الرصيف من قبل أحبابهم ومعارفهم .. فالإهتمام نوع من الشهرة التي تؤكد لهؤلاء ، أنهم ما يزالون على منصة المسرح الحيوي الفاعل بالحياة .. كما لو كان نوعا من الشهرة النفسية الضيقة التي تؤمّن الحاجة للبقاء في محيط آمن قدر الإمكان ، من مخاطر الغوص في النفس الخاصة بالإنسان عندما يكون وحيدا ..

ولهذا فان أعتى السجون قسوة هي التي تضع الإنسان وحده في غرفة إنفرادية ..

على الجميع ممن هم بسنّ الشباب ، أن يتذكروا أن ( الإهتمام والرعاية ) لمن هم أكبر سنّا ، عبارة عن ( أمان من قلق ) أكثر من أن تكون مجرد مجاملة او حتى أن تكون منةً من أحد عليهم ..

طمأنينتهم هي إهتمامنا بهم .. فقط ..

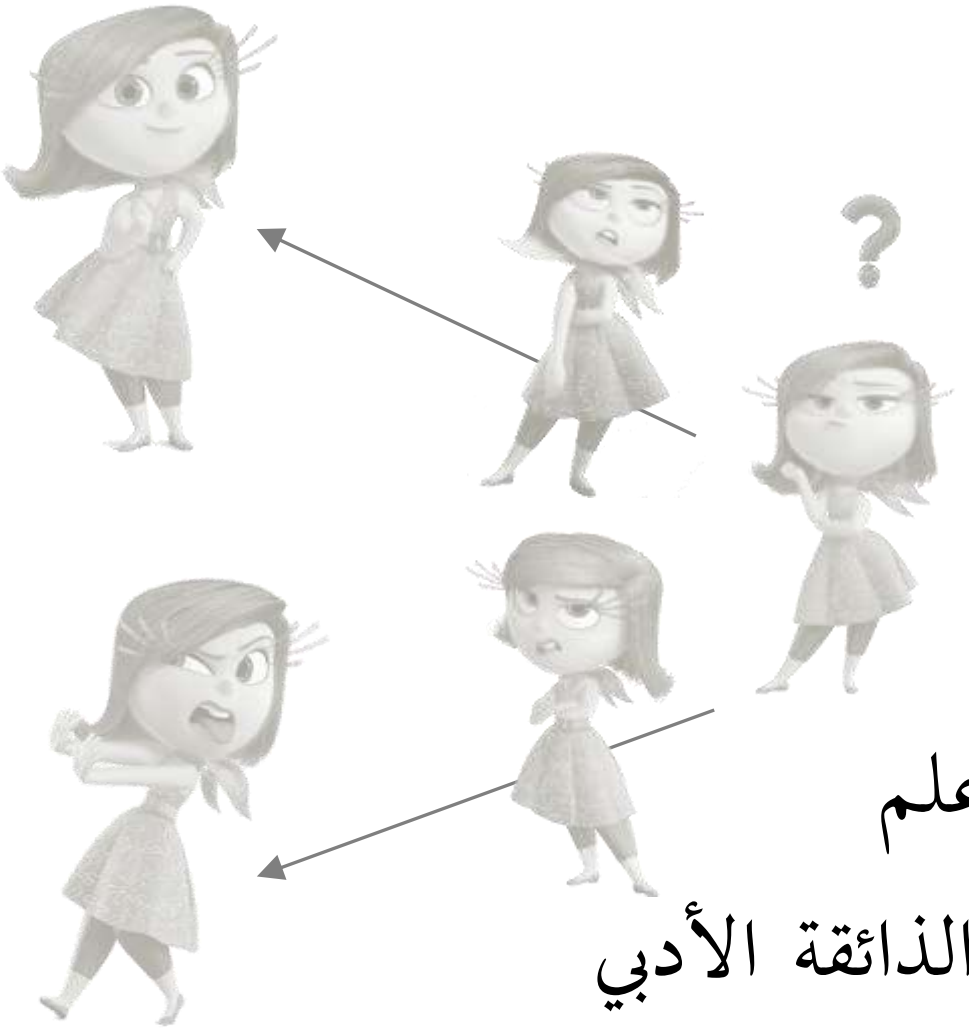

# علم
# الذائقة الأدبي

من الضروري المرور سريعا على هذه النقطة بالذات ، لتقرير أهميتها كأولوية قبل سواها .. فـ ( الذائقة ) في النفس الإنسانية ( تسبق ) ما تتعرض له من تأثير خارجي .. وليس العكس .. وأن الفعل المؤثر على الإنسان لا يأتي بذاته حاملا عامل المقبولية لكي يصبح مرغوبا او محبوبا ، بل أن الذائقة موجودة ( في هذه النفس ) قبل أن تتعرض للتأثير الأدبي او الفني ، او حتى اللغوي العادي بالتواصل بين الإنسان و أخيه .. ... إنها قوالب فارغة التي تنتظر ما يملأها .

فلدى الإنسان ، خمسة حواس ، لها ، أولا خمسة مجسات حسية .. هي البصر والسمع والشم و التذوق و اللمس ، ولأي من هؤلاء ، مجسٌّ حسي خاص به في موقع ما من ( الجسد ) ، و ثانيا ، أسلاك إيصال الإحساس ، ثم ثالثا ، حيث مراكز إستلام المعلومة في الدماغ البشري..

و لتوضيح ذلك بمثال ، فلنتخذ من ( البصر ) مثالا :

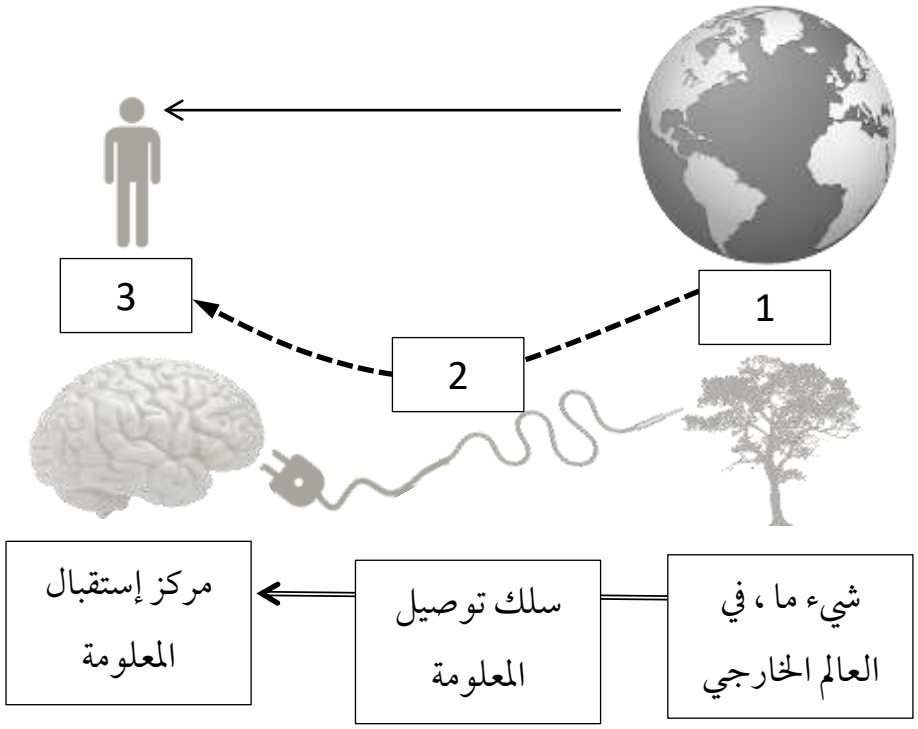


هكذا هو الأمر ، كما هو معروف علميا حتى اليوم ..

و لا يوجد حتى اليوم عن وجود حاسة ترتبط بالعالم الخارجي غير هؤلاء ، على الأقل في عصرنا الحالي ..

إن العقل البشري هو ما يتحكم بالذائقة الخاصة بالإنسان عندما يستقبل أي شيء خارجي عنه ليحدد مستوى إستحسانه له بما هو ( مطلوب ) و ما هو ( مرغوب ) و ما هو ( مكروه ) ، ولتوضيح ذلك ، فلنتصور أن ( السلع ) القادمة ( من الخارج ) ذات ( هيئة معينة ) وأن القوالب الجاهزة في المختبر العقلي للانسان هو المعمل الذي يحمل هذه القوالب والذي يقوم بفحصها قبل الموافقة عليها او إعطائها الصفة التي تناسبها مهما كانت قيمتها في الخارج ، فالداخل البشري للذائقة هو ما يحدد ( مقبوليتها ) وليس ( ضرورتها ) ..

المقبولية و ليس الضرورة .. ومن هنا يبدأ الإختلاف الشرعي بين الناس بمبدأ ( الذائقة ) .. دون المضي بالإختلاف الى حد الخلاف .. ! ولكي نوضح الأمر فسوف نأخذ مثالا آخراً عن هذه الذائقة من خلال ( حاسة السمع ) لأهمية ذلك بالنسبة لواحدة من الوسائل الأهم بالتواصل ( الانساني -الانساني ) :

لدينا قالب ( عقلي ) ، يتضمن الدائرة ⟵ ، مثلا :

وهذا القالب يمثل كل ما ( يحب ) او ( يرغب ) أن (يسمعه ) الإنسان ، من إنسان آخر يلتقي به ، والآن لنتصور أن أحدهم ( يستمع ) لموضوع معين ، و لدينا ثلاثة أشخاص يتحدثون مع مستمع واحد فقط هو ( س ) ولدى هذا المستمع قوالبه الخاصة في عقله التي ( تفلتر ) ما يسمع وما يناسب قوالبه فيتخار منها ما يطابق قالبه العقلي الخاص به .. وليكن بشكل ( الدائرة  ) .. كما ذكرنا قبل قليل لهذا المستمع بالذات :

إن المستمع هنا سوف يختار ما يستحسن استماعه وقناعته وحتى تأييده ، ما يناسبه هو ، بغض النظر عن أهمية الموضوع المطروح عليه وبصرف النظر عن أهمية ما يسمع او فائدته او ضرورته ..

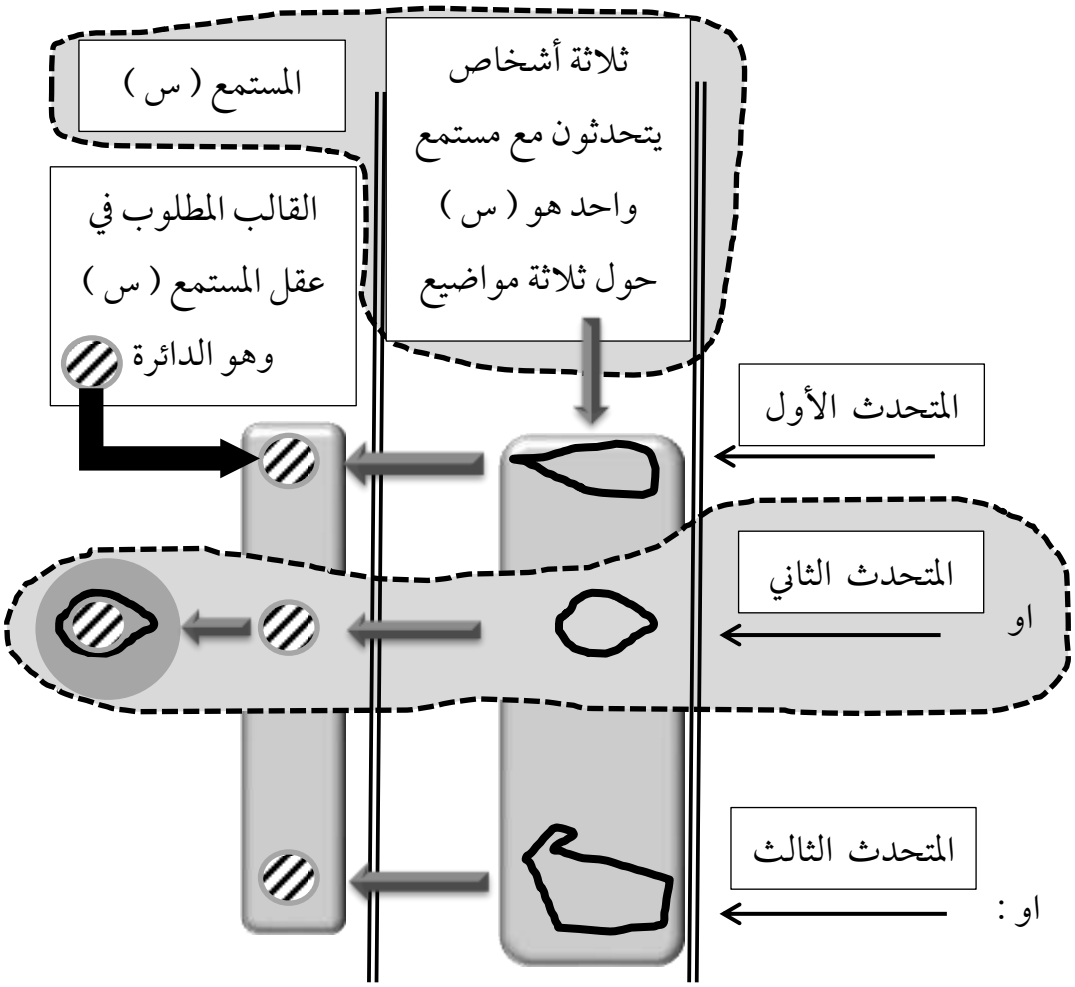

لقد اختار صاحبنه ، المتحدثَ الثاني ، كما ذكرنا .. و رفض او أظهر المجاملة بقبول حديث الإثنين الآخرين ، الأول والثالث ، وربما رفض كلامهما صراحة وأعلن عن رفضه لهما ..

و لو أجرينا تجربة أخرى على مستمع ثان .. وليكن ( ص ) ، و طرح الأشخاص الثلاثة السالفو الذكر أنفسهم ، الموضوع ذاته الذي طُرح على المستمع الاول ( س ) .. الا أن ما يميز هذا المسمتع أي ( ص ) عن المستمع الأول ( س ) ، أن له قالبا خاصا به .. و ليكن ( المستطيل ) هذه المرة .. لمجرد التمييز بين الاثنين والتوضيح فقط :

قالب الشخص المستمع الثاني ( ص ) :

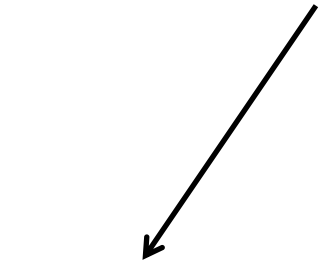

والآن سنجد أن الأمر قد إختلف بالرسم :

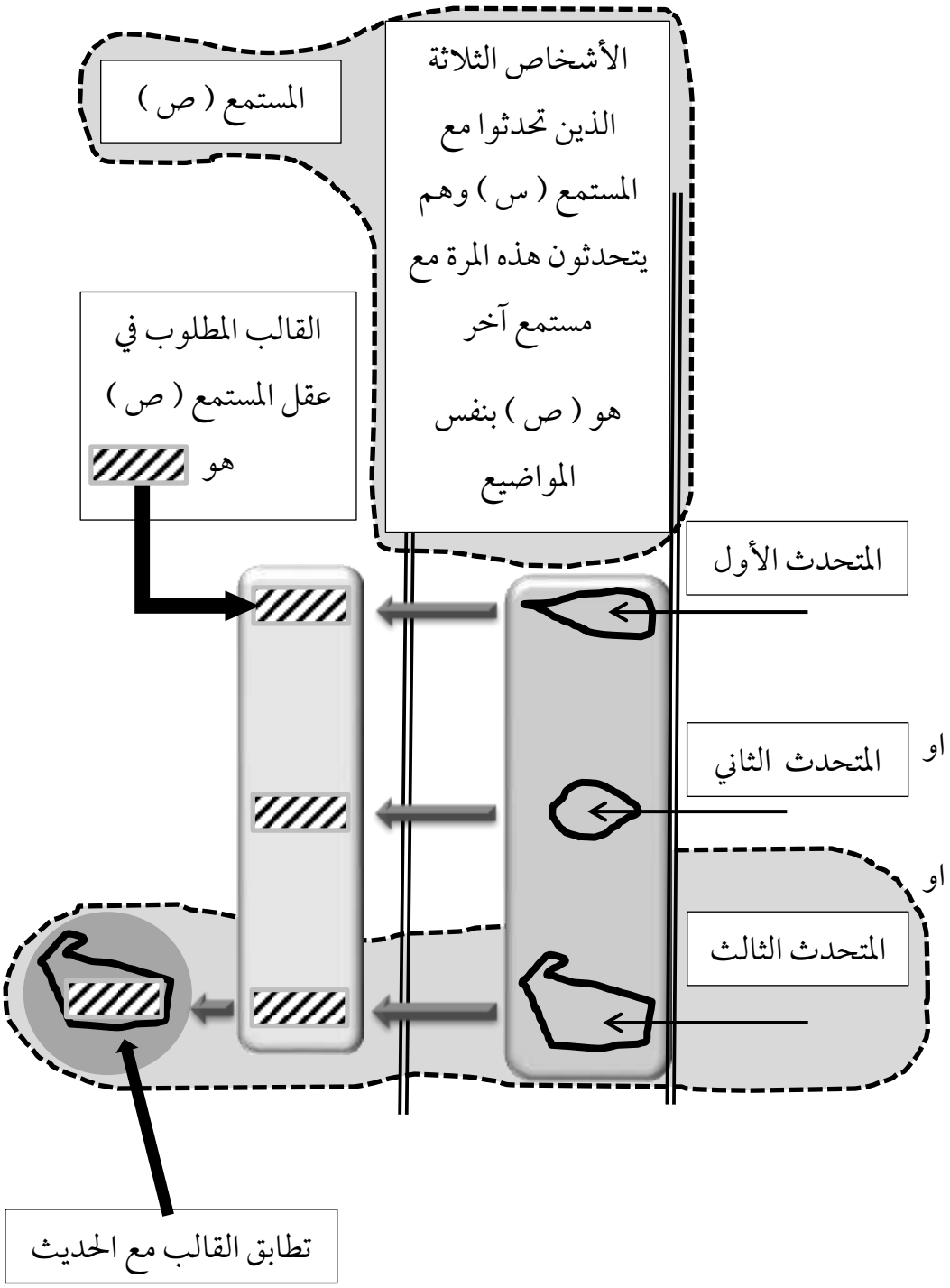
المستمع ( ص )
الأشخاص الثلاثة
الذين تحدثوا مع
المستمع ( س ) وهم
يتحدثون هذه المرة مع
مستمع آخر
هو ( ص ) بنفس
المواضيع
القالب المطلوب في
عقل المستمع ( ص )
هو
المتحدث الأول
او
المتحدث الثاني
او
المتحدث الثالث
تطابق القالب مع الحديث

والآن لو أعدنا التجربة و عكسنا الأمر .. وجعلنا المتحدث شخصا واحدا فقط ، بينما جعلنا المستمعين خمسة .. وعندها منطقيا ، سنجد أن الأشخاص المستمعين ، سيأخذون حديث المتحدث بـ ( نسب متفاوتة ) من ( المقبولية ) ، فربما أحدهم يستحسن و ربما الآخر يرفض و الثالث متردد بالموافقة ..

ولو عممنا الأمر وجعلنا المتحدث شخصا واحدا ، ولكن المستمعين بعدد كبير كما في المؤسسات التعليمية او السياسية او خطابات ما نسمع ونرى في وسائل الإعلام و ما الى ذلك .. وعندها فان المستمعين سيكونون على نسب متفاوتة جدا من المقبولية لما يستمعون له ، ككل ما يسمعون او بعضه او جزء منه ، وأن ( عامل التفاوت ) هائل .. عندها يجب إجراء إستبيان لمعرفة رأي المستمعين بالأمر ، لمعرفة ( مقدار التفاوت ) بالمقبولية ..

الإستحسان الصريح أكثر أمنا في مجالات العلوم و الفنون والآداب ، غير المؤذية في حالة التعبير عن الرأي ، الا حينما يكون إبداء الرأي من الصراحة ما قد يسبب حرجا جديا .. لا سامح الله ... !

المهم .. لكلّ منا له ذائقة خاصة .

إنها المقبولية او ما نطلق عليه الإستحسان بالرأي ، او الموافقة ، او الرغبة بالإستمرار بالإستماع ، أي أن الإنسان يحبُّ أن يلتقط ما يناسب ذائقته الخاصة بقوالبها الموجودة فيه .. وطبعا ليس لأهميتها ( كما هي ).. او كما يظن البعض ..

.....

الناس تحب أن تسمع ما تحب أن تسمع .. !

وكما في مثال الإستماع ، فهو مثال ( البصر ) ..

العين تنقل المشهد للدماغ حيث العقل .. فاذا توفر القالب الذي تقع عليه ( المفردة المرئية ) هذه كـ ( صورة منظر ) ، وقوع التطابق ، فإنها مقبولة ، و اذا كان التطابق كبيرا ، فانها مقبولة أكثر ، وهكذا .. باعتبار أن ( نسبة التطابق ) تحدد ( المقبولية ) ..

وعلى هذا الأساس يقوم ( التفاوت ) بالمقبولية لدى الناس ، لنفس المنظر .. فمنهم مَن يستحسنه ومنهم من يرفضه .. ومنهم من يحتار بين الإثنين .. رغم أن المنظر ، هو هو في كل الحالات ..

ومن الأمثلة الأكثر عمقا بتاريخ التكوين البشري ، هو منظر ( الأعضاء الجنسية ) لدى الذكر والأنثى واللذان يشكلان حجر الزاوية بالكثير من الأعمال الفنية المحبوبة والمرغوبة في تأريخ البشرية كله ، اذ أنّ وجود هذه القوالب العقلية يشجع أي نصب او شكل يشبههما مهما كانت قيمته الأخلاقية المنافقة ، من تمريره على الناس تحت حجج تبدو مقنعة .. ولكنها في نهاية الأمر ، ( تتطابق ) مع شكل الاعضاء الجنسية لكلا الجنسين الذكر والأنثى ، كما هو حال السمع والبصر ..

و لقد إستفاد الكثير من الفنانين من إنشاء النصب التذكارية على شكل هذه الأعضاء التناسلية وخاصة الذكرية منها ، للتدليل على الزعامة والعظمة وما الى ذلك ، تحت عناوين وطنية او قومية و ما شابه .. لوجود هذه الأشكال في قوالبها الجاهزة في عقول الناس ، الجنسين منهم الرجال والنساء على حد سواء ، مما يساعد على مقبوليتها جماليا ، مع إشتراكها بالهدف السامي كعنوان تسويقي منافق .

وكما هو البصر والسمع .. هو التذوق بـ ( اللسان ) .. حاسة التذوق ..

لقد تعود ( اللسان البشري ) أن يشعر أن كل ما هو حلو ، هو حلو .. ولهذا فإن ( السكّر ) مثلا ، مقبول عموما بل يستحق أن يُضرب به المثل لحلاوته ..

إن جمال السكّر ليس لأنه سكّر بحد ذاته ، ولكن لأن القوالب العقلية التي تتخصص به موجودة أساسا في عقولنا حتى قبل أن نتذوقه ، بإعتباره جميلا ، ولهذا فهو مقبول .. لدى الجميع تقريبا ..

الحال هو هو في حالات البصر والسمع وكذلك .. الشم والتلمس ..

وكل ذلك يتم عبر عملية ثلاثية ، الحصر و الفرز والتصنيف ثم إقامة ( علاقات شبكية ) بين المفردات ، لإخراج نتائج جديدة .. .. طبيعيا و فكريا .

إنها عملية ( علمية الأدب والفن ) .

# الشهادات العلمية

لا تخرج الشهادات المدعوة ، علمية او أدبية
و شتى المسميات الحديثة
عما نحن بصدده ،
فجميع هذه الشهادات العلمية ،
تعتمد على تحليل ( أدب الظاهرة )
المعنية بالدارسة ، ثم فرزها بمؤشرات
قواسمها المشتركة ثم وضع النتائج المستنبطة لها ..
وهذه النتائج التي تمثل خلاصة الدراسة ، هي ما تعني ( العالِم ) بدراسته ، لكي يخدم الآخرين . ولكن لايمكن لأي ( عالِم ) و أي ( عِلم ) أن يستخرج أية نتائج دون العودة للمادة الخام ، التي درسها ، وهي الأدب .. أدب الطبيعية حيث الظواهر التي تبدو عفوية ، ثم ربطها بـ ( علاقات ) يستطيع الإنسان الخروج منها بـ ( نتائج ) تنفعه ، وكذلك الآداب ( النفسية ) للانسان الفرد او المجتمع مع الخروج بنتائج تعتمد المبدأ ذاته .

# التداعي السببي

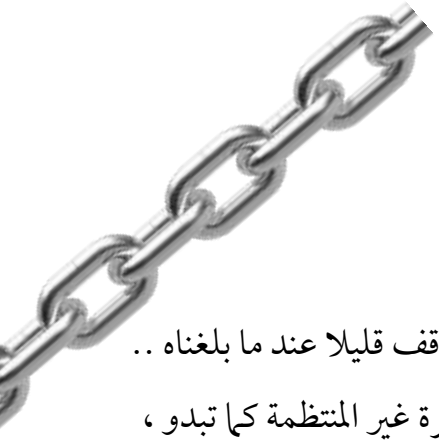

ولكي نمضي قليلا دون إسراف او إسهاب.. علينا التوقف قليلا عند ما بلغناه ..

إن أية دراسة تعتمد على تحليل المادة الخام المتناثرة المبعثرة غير المنتظمة كما تبدو ، ثم معالجتها ، ثم الخروج بنتائج تمثل إعادة تركيبها ..

أي كما هو الفكر البشري ..

الثلاثية التي أثق بها تماما :

التحليل ، المعالجة ، التركيب ..

إنها ثلاثية أية قاعدة علمية تعتمد الأدب ، أساس عمل او فكْر .

أما الجديد الذي يستحق الذكر هنا ، هو أن ( النتائج ) التي خرجت بها الدراسة ، بعد التحليل والمعالجة .. لا تُعتبر نهاية الطريق ، بل هي بحد ذاتها عبارة عن

مفردة جديدة تعيش وسط محيط متناثر الأشياء ايضا ، و بذلك تتحول ( النتائج الأولية ) لـ ( أسباب جديدة ) لـ ( دراسة جديدة ) ، وهذا ما يجعل ( جميع النتائج ) ، أسبابا لـ ( نتائج مستحدثة ) فيما بعد .. وهكذا ..

إنها سلسلة غير متوقفة من ( الربط العلّي ) ، أي التسلسل المتراكم ( سببيا ) لإخراج نتائج تولد أسبابا ، بلا توقف طالما أنَّ هناك حياة و هناك أنسان يفكر .

إنها أزلية التداعي الزمكاني .. و طبعا لا محل للمضي أكثر من ذلك حول شرح هذه النقطة المهمة جدا ، حاليا .. والإكتفاء بهذا الإختصار .

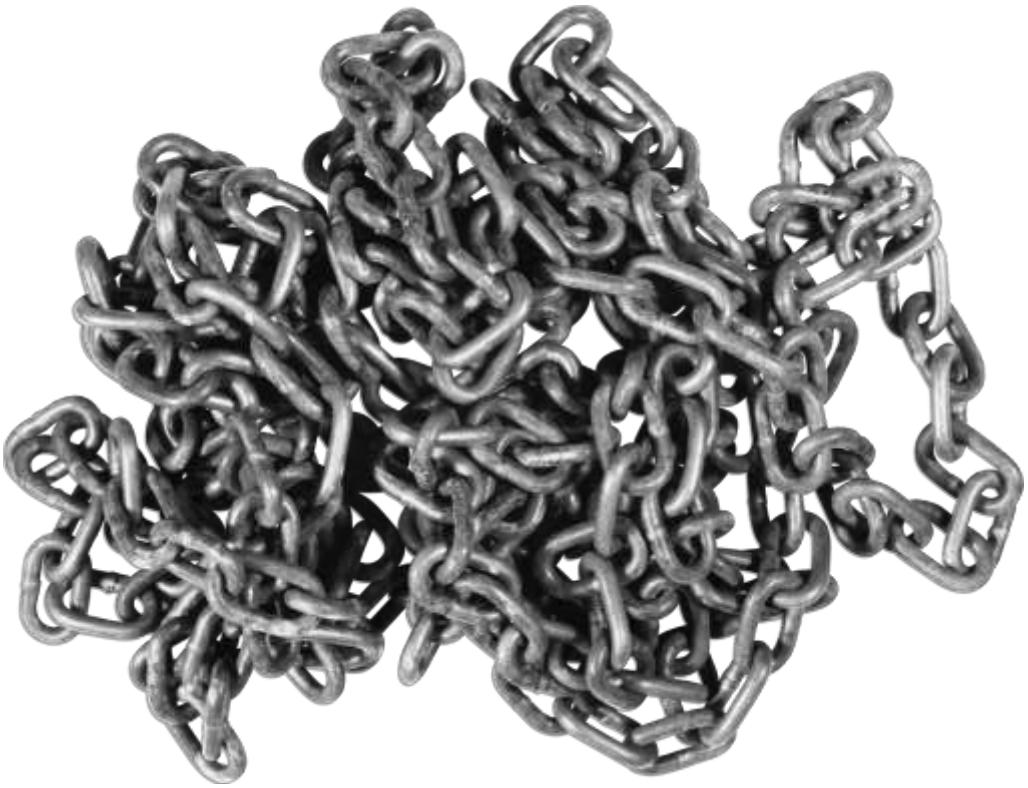

# العلوم الخدمية .. ( التكنو )

لقد مرّ الانسان عبر الالاف الأخيرة من تاريخ البشرية بحالة من ( العلمية ) بمجالات الخدمات .. كإكتشاف الكهرباء ، و إستبدال حركة الساقين بالمشي الى ما هو أسرع مثل إكتشاف ( العجلة ) وما ترتب عن ذلك من حافلات ، وسكة القطار و الطائرات .. إضافة للعلوم الطبية و سواها ، كما تقدمت الأمور بما وصلته اليوم مما يسمى بـ ( شبكة التواصل الإجتماعي ) و ( النت ) و سواها و كل ذلك يقوم على أساس ( إختصار الزمان والمكان ) لتحسين حالة التواصل البشري ، الفرد مع سواه .. و ( السوى ) مع الفرد .. حيث إتساع الإحساس بالإنتماء للقطيع و الأمان الأكثر ، رغم ما شاب ذلك من تربية سلبية غالبا ، بل تربية

أعادت الإنسان الى التخلف والمزيد من العزلة المجتمعية النفسية ، تحت عناوين متمدنة منافقة ، ولكن في نهاية الأمر فان دائرة الإنتماء الإنساني قد توسعت لمساحات مذهلة عما كانت عليه معرفته المحدودة بالعائلة و القبيلة و القرية ..

لقد بدأ الانسان يشعر أن هناك ما يستطيع أن يسبح به من عالم ..

الحالة لا تخرج عما ذكرناه سابقا من أنها محاولة لكي يحوّل هذا الإنسان، الآداب والعلوم النفسية و الاجتماعية الى علوم .. و ليس العلم كـ ( هدف ) بحد ذاته ..

إنها جميعا وسائل تقليص هامش القلق الوجودي وتقليص الإحساس بالوحدة و العزلة الحيوية التي يعيشها ..

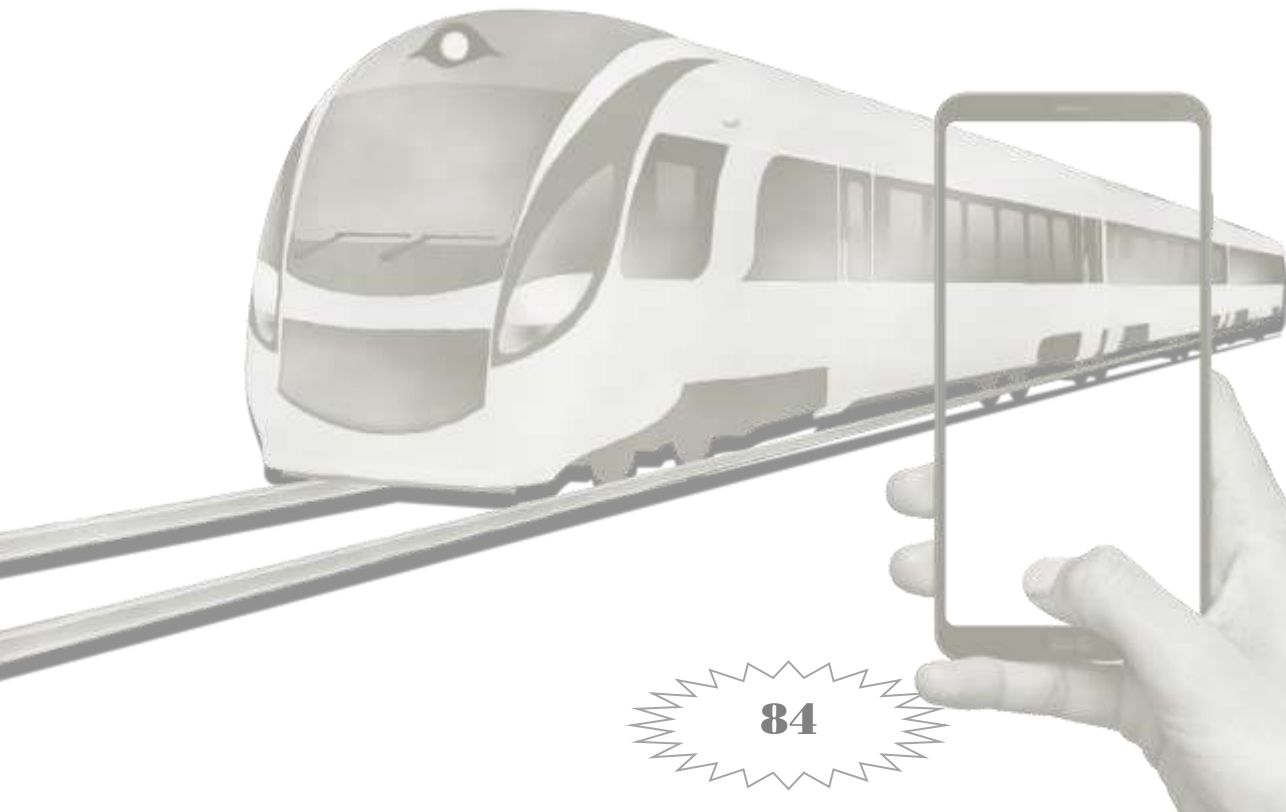

# الشوارع
# و المقاهي و ( الكافيهات )

ومن الجدير بالذكر ، ولو مرورا عابرا ، إلقاء نظرة على مبدأ ( التجمعات البشرية الحديثة ) ، مثل المقاهي و ( الكافيهات ) و ( النوادي الليلة ) ، وحتى الشوارع .. السؤال هو : لماذا يرغب أغلبنا الجلوس في المقاهي و الكافيهات وحتى الخروج للشوارع .؟

لماذا أي منّا عل إستعداد أن يدفع أضعاف ما يدفعه لو كان في منزله مقابل ( كأس شاي ) او ( فنجان قهوة ) وهو خارج منزله .. ؟

فأي منا يستطيع أن يراقب نفسه وهو في المقهى ..
إنه لا يعرف أحدا بالعادة .. ومع ذلك فهو يشعر بأمان أكثر مما لو كان في منزله و بيده كأس الشاي .. ولهذا فهو يدفع فاتورة مالية أكثر لكي يشعر بذلك ..
هو يشعر أن هناك أناسا حوله ، لا يعرفونه ولا يعرفهم .. غير أنهم حوله ..
أليس هذا كافيا ليكون آمنا ... ؟
وكذا حين نذهب للمطاعم ، رغم أن الكلفة أكثر مما هي نفس الوجبة وحتى أكثر ثقة بالنظافة من هذه المطاعم ؟
لماذا البعض منا حين يريد شرب الخمر ، أن يذهب للحانة علما بأنه على دراية تامة بأنه سيدفع أكثر مما سيدفعه لو إكتفى بأخذ زجاجة الخمر ، واختار بيته ليسكر بسلام ؟
لماذا ( المراقص الليلية ) و ( التجمعات العشوائية ) التي لا يعرف أحدهم الآخر عادة بإستثناء بعض الأصدقاء او الصديقات ؟
لماذا يقصد الناس الكرنفالات و الإحتفاليات الكبيرة رغم أنهم لا يعلمون ما سوف يجري لهم بالضبط ولا يعرفون حتى ( برنامج الإحتفالية ) ؟ وكل ما في الأمر أنهم سوف يلتقون أناسا لا يعرفونهم .. ويكفيهم الإشتراك بالمناسبة ..
لماذا البعض منا ، يرغب بالخروج للشارع و السير فيه دون هدف محدد ؟
الجواب هو الرغبة الدفينة العميقة في عقل أي منا كـ ( بشر ) بالتواصل مع الآخرين حتى لو لم نعرفهم شخصيا .. فوجودهم يمثل إمتدادا لذواتنا المغتربة في ذواتنا ...
ذواتنا الغريبة فينا حتى قبل غربتها بسوانا ..

الانسان غريب في ( نفسه ) خاصة عندما لا يجد أحدا حوله ..

إنه يبحث عن ( القطيع البشري ) لسبب دفين أصيل يعود لبدايات تكوينه .. حيث الأمان و الطمأنينة .

كما تجدر الاشارة هنا ، الى حب الكثيرين كـ ( قاعدة ) ، للبحر والنهر والماء عموما الا من إستثنيناه لأسباب نفسية طارئة .. أما القاعدة فهي حب الإنسان للاقتراب من ( البحر ) غالبا ..

ثم الإسترخاء على شاطئه دون الضرورة أن يخوض غماره ..

إنه ( يخاف ) البحر ولكنه يرغب أن يكون ( قريبا منه ) ...

لماذا ؟

إنها الأصالة التكوينية التي جاء منها أسلافه منذ البدايات الأولى للبشرية ..

حيث البحر ..

حيث الوطن الأول الذي جاء منه .

إنه يحن للعودة لوطنه .. البحر ..

ولولا ان انفه بطياته قد عاد الى خياشيم ما كانت عليه ، لما تأخر بأن يستقر فيه بمواقع آمنة بين الصخور المرجانية مثلا ، ليلتقي أجداده ، الكائنات البحرية و النباتات البدائية التي جاء منها أصلا .. ولهذا فان الكثير من المرافق السياحية ، تضع ما يناسب هذا الانسان لإلقاء نظرة على وطنه الام ..

.....

الماء و البحر والمحيط .. فاذا توفر الآخرون ، حتى بلا معرفة شخصية ، وتوفر البحر او النهر على أقل تقدير ، ، توفر المرفق السياحي الناجح ..

إنها عملية ليست عفوية ولا عشوائية ولا تعتمد على مزاج الذكاء التقليدي للمسؤولين عن السياحة ..

إنها عملية تكوينية في الإنسان الباحث عن عائلته البشرية ، وعن وطنه ..

عن البحر حيث الوطن .. والقطيع حيث العائلة ...

ومن الطريف أن الإنسان يميل للنظر لشاطيء المحيط او البحر او النهر .. أكثر مما يميل للنظر لهم ، وهو فيهم .. أي يُؤمْن على نفسه منهم أولا ، لينظر لهم ثانيا .

إنه يحب أن يرى ( عن بعد ) ، البحر او المحيط او النهر ، وحتى الترعة .. على أن لا يكون جزءا من اللعبة .. فهو لم يعد كائنا مائيا ..

لقد ابتعد عن الوطن البحر .. أكثر مما إبتعد البحر الوطن ، عنه .. !

يجب أن لا يكون بعيدا عن اليابسة ليؤمن الإثنين معا :

النظر للبحر .. والوقوف على اليابسة ..

فاذا توفر القطيع ، توفرت عناصر الأمان الكافية ، خاصة اذا كان من المعارف والاصدقاء ..

والأغرب من ذلك ، حضانة الحيوانات المنزلية كما تسمى ، مثل ( الكلب ) و ( القطة ) .. و ما هو المبرر لذلك ؟ و لماذا الانسان وهو مع عائلته المتحابة ، يميل لإمتلاك حيوان اليف ؟

إنها عملية توسيع مساحة الإنتماء بأي شكل من الأشكال ..

بل الأدهى من ذلك
أن يمتلك الإنسان
بعض الحيوانات الغريبة
و غير المنزلية .. كالزواحف و حتى الثعابين ..
ليس كما يزعم ، بالدفاع عنها او ما
الى ذلك من نفاق .. بل حبا بنفسه
وخوفا منها ومن العالم ، بدلالة
أن عدد مؤسسات الدفاع عن حقوق الحيوان ،
أكثر من عدد مؤسسات الدفاع
عن حقوق الإنسان ،
في بقاع العالم المنخفضة الدخل ..
.....
وكذلك الحروب التي لا تنتهي ،
حتى يبدأ سواها تحت ذرائع رخيصة
لمجرد بيع السلاح ، بصرف النظر عن ثمن
ما تدفعة البشرية من دماء ..

وأكثر من ذلك ، أن هذا الإمتداد المقصود ، ليس بالضرورة منطقيا ، كما هو الحال بحالة المضي مع القطيع الى نهاية ما يؤمن به ، حتى وإن كان هذا القطيع على خطأ ، او على باطل وحتى لو كان على حافة الخطر الشخصي ..

يقال ( حشرٌ مع الناس عيد ) ..

نعم .. هو العيد .. بغض النظر عن السبب او المناسبة او حتى الكلفة المترتبة على ذلك .. فهناك الكثير من الوقائع التي أكدت ذلك ، كما هو حال ( الإنتحار الجمعي ) غير المبرر حتى لدى من إقترفه قبل الإنتحار ..

إنهم لا يعرفون لماذا يجب أن ينتحروا ، ولكنهم سعداء بـ ( إتفاقهم ) على ذلك ..

فطالما سوف يشترك الإنسان مع القطيع ، فهذا بحد ذاته ( هدف ) ، أما لماذا الأمر ، فمسألة ثانية وربما ( ثانوية ) ..

الهدف ذاته .. البحث عن الطمأنينة .. و تخفيف القلق الوجودي ..

إن الكثير من أفكارنا و سلوكياتنا ، لا تُبنى على أساس منطقي بل على أساس ( ما إجتمع عليه القوم ) ، فهو الصواب .. !

إنها العلّة ذاتها .

حينما أكون وحدي ، لأشعر بالعمق ، فسوف أختار الخروج للشارع كي أشارك الآخرين سطحيتهم ، فأحس بالراحة مني ، والأمان منهم .. !!

الانسان ، و قلقه الوجودي و رغبته الكاسحة بالعودة للوطن ، الطبيعة و البحر و القطيع البشري رغم إزعاجه ، بل حتى الحيوانات التي جاء منها قبل أن يرحل أبعد من ذلك ، حيث أجداده النباتات ، النباتات البحرية ، وحتى الرغبة الدفينة غير المقصودة بالعودة الى ( المالانهاية ) .. حيث الإستقرار النهائي الخالد مع الله جلّت قدرته .

# الصليب
# الأخلاقي

ما يهمنا بهذا العنوان ، هو صلته بالقلق الوجودي ..

إنه ببساطة ، شرح عملية التواصل الإنساني مع سواه .. وفق ترتيب أحداثي يعتمد على العمود والإفق الإنتمائي ..

أي :

أولا : تحليل الأخلاق بعجالة ، كـ ( مبدأ ) ، إستخدمه الإنسان ليتواصل ، ليس كـ ( هدف ) ، بل كـ ( وسيلة ) ..

ثانيا : سبب إعتماد الإنسان لهذه العملية ، و هو من أجل أن يخفف خوفه ..

ولنعد الى ( أولا ) :

الإنسان يميل جدا لكي يحافظ على ( منسوبيته ) أي إحترام ( ما فوقه ) بالسلّم العائلي ، كالأم والأب والأعمام والأخوال والأجداد و أجداد الأجداد ثم العشيرة والقبيلة و الأمة التي ينتمي لها ..

إنه ( يريد ) إبقاء التواصل بأية طريقة ممكنة .. ( عموديا ) ..

إنه نوع من التمسك بالسلالة التي جاء منها ، بل وإحترامها وحتى تقديسها .. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد من ( الإنتماء العمودي ) أي ( المنسوبية ) بل يشمل ( ما تحته ) ، حيث التواصل مع الأبناء و الأحفاد وأبناء الأحفاد وهكذا .. إنه يريد أن يكون وسطا مطمئنا بين الإتجاهين .. بين ( ما فوقه ) و ( ما تحته ) .. ليشعر أنه في كوخ الطمأنينة العمودي الأُسري ، قدر الامكان ..

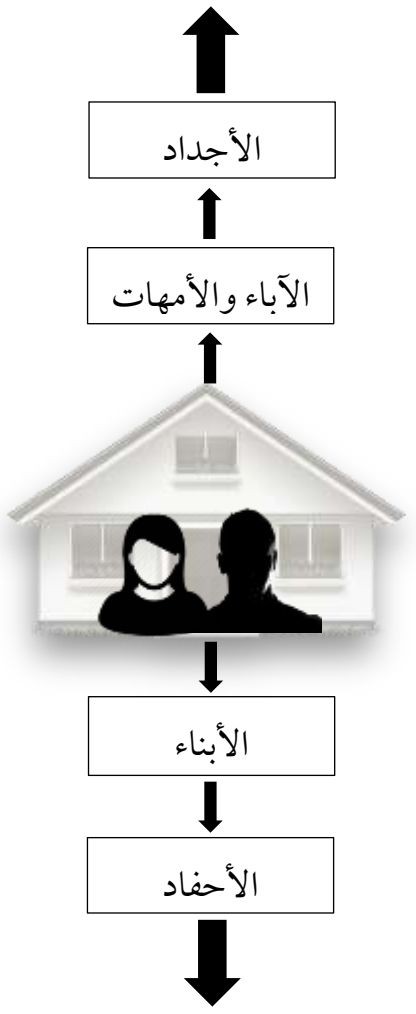

و لا يتوقف الأمر عند هذا الحد .. بل أن الإنسان يمتد أفقيا ايضا وبنفس السرعة والعزم مع المنسوبية العائلية ، الى ( المحسوبية ) الإجتماعية ، فيعقد الإتفاق مع المرأة الزوجة ، ثم أقارب الدرجة الأولى ثم الأصدقاء ثم المعارف ثم الآخرين الذين لا يعرفهم حتى.. ثم مع كل ما يخصه من إنتماء مثل أبناء شعبه ..

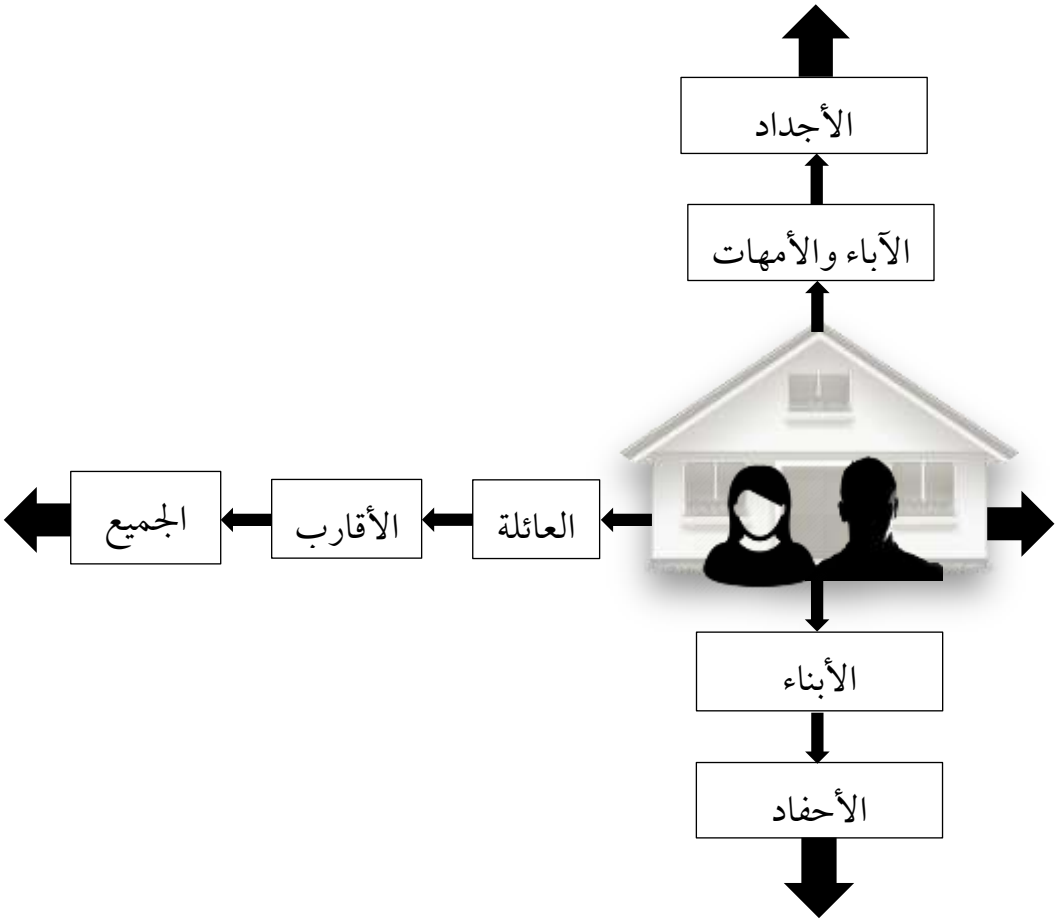

أي :

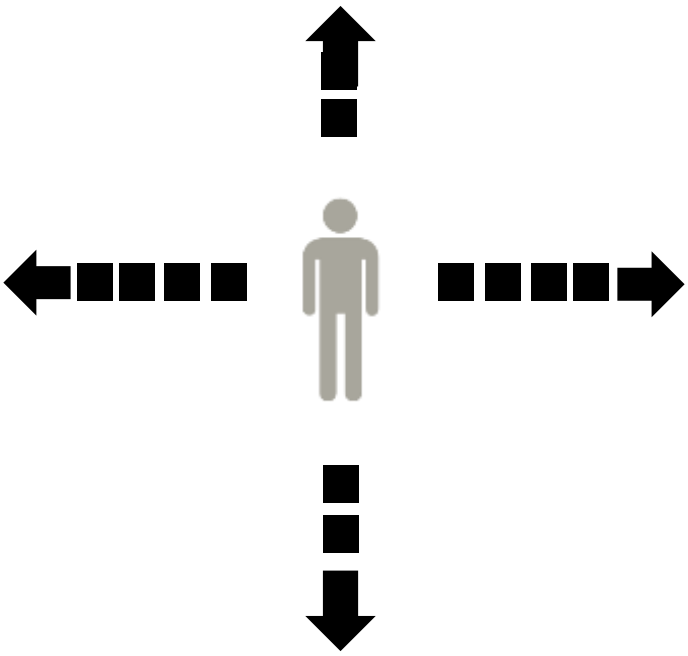

إنه يمتد ..

إنه يمتد ( كرويا ) نحو الخارج .. ( منسوبيا ) و ( محسوبيا ) .

إنه يوسع مساحته الشخصية .. مساحة إنتمائه .. الدائرة الوجودية للطمأنينة .

مساحة تقليص وحدته ..

مساحة الإرتباط بكل ما عداه ، بلا إستثناء ..

إرادة التمدد .. إنه يريد الكون كله ، إرادةً ..

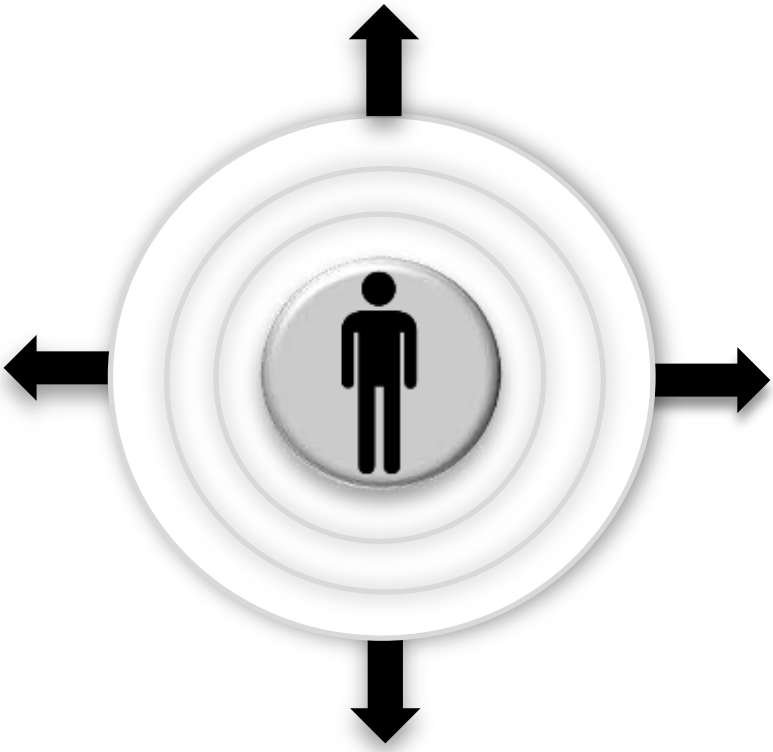

إنه يحاول التمدد اللانهائي .. لحدّ الخلود .

القلق المذهل هو العلّة النهائية .. لأنه لا يعرف علته الأولى .

إنه يخاف الله جلت قدرته ، أكثر مما يخشاه ..

إنه قَلَقُ وجوده كـ ( مُفكر ) . !!

لا مفر من المجهول .. و لا مفر من القبول ..

الطمأنينة بالتسليم .

# علم الفنون

إن شتى ما ندعوه اليوم ، ( فنونا ) ، هو ايضا في خانة ( الأدب ) المبعثر للعواطف الإنسانية ، والتي تم تجميعها بطريقة ، تنتهي بمحطاتها الهندسية في عقولنا ، لتؤدي التزكية الكافية من المقبولية .. أما سبب كل ذلك ، فهو السبب ذاته الذي يدفع الإنسان الغريب عن وطنه ، بأن يجد أي شخص في الشارع ، لمجرد أن يتحدث معه ... حتى لو بمجرد التحية و المحادثة العابرة ..

.....

بدأت الفنون في بداية التاريخ البشري ، كنقوش على الجدران .. ثم تطورت الى رسوم منظمة على الواح من البردي او سواها ، ثم بدأت الدائرة تتسع لهذه الرسوم من خلال التفنن بالألوان .. ثم الأفكار .. ثم النحت ( الرسم الثلاثي الأبعاد ) .. وهكذا ..

الأسُّ في كل ذلك ، هو أن الفن ( صوت مرئي ) .. و اللغة ( لوحة مسموعة ) .. و هنا ، لسنا طبعا بصدد تفاصيل الفنون ، ولكن المهم بالأمر ، هو أنها ليست فنونا الا بعد أن كانت آدابا ، تقدمت بها العملية الهندسية من أفكار منتظمة الى نتائج مثمرة .. سواءً كانت هادفة ، كالمنشورات و سوم ( الكاريكتور ) ، او رومانسية .. او شخصية للملوك والقياصرة او سوى ذلك .

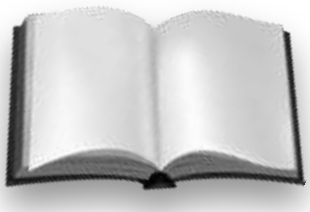

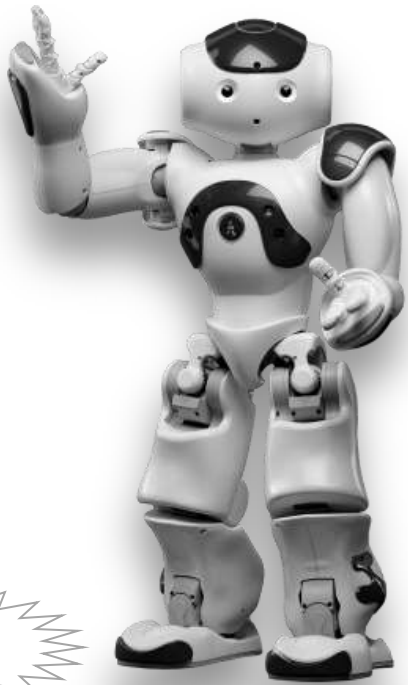

عبر التاريخ

الأفكار في العقول

ترجمة الأفكار الى الخارج

الآداب والفنون

علم الآداب والفنون

كل هذا عبارة عن ( عملية علمية ) ، تقوم على جمع المتناثر من الأفكار ، لوضعها في ( نتاج جديد ) لم يكن موجودا سابقا ، من أجل إرضاء ذات الفنان ، أولا ثم إرضاء الآخرين لتتسع دائرة الإنتماء البشري ..

.....

وكما الفنون التقليدي ، عبارة عن ( لغة مرئية ) ، فمن الممكن القول أننا نستطيع أن نؤسس لفن آخر يتعلق بـ ( حاسة الشم ) ، وهو فن ( العطور و الروائح ) .

وهذا يعني إقامة المهرجانات لتقييم ( جمالية العطر ) ، من قبل البعض ممن يحسنون صناعتها من مواد يختارونها بأنفسهم ، تماما كالمهرجانات المقامة للفنانين الرسامين او النحاتين ..

و اذا كان الأمر كذلك ، فيجب أن نشمل الفنانين اللذين يقومون بإختبار فنونهم ( الذوقية باللسان ) ، أن ينشأوا الأطعمة التي تمتاز بـ ( ذائقة لسانية ) معينة ، لنجد من يتذوق هذه الاطعمة وإبداء الرأي ، فاذا كانت هذه الأطعمة ذات مذاق جيد ، فمن الممكن شراء ذلك ، أسوة بشراء لوحة لأحد أكبر الفنانين بالعالم .

و لو مضينا أكثر ، فلا إستثناء حتى الآن ، الا لحاسة اللمس والكيفية التي نجعل منها هي الأخرى فنّا ، يتسابق له الفنانون لإقامة مهرجاناتهم عليه .. !!

.....

و تلخيص ذلك هو إن خمسا من حواسنا ، هي ما نستطيع أن نقدّم لها من آدابها المتوفرة في الخارج ، لكي نستخلص من هذا الخارج ، أجمل ما بها ، تحت راية ( علمية ) التنظيم ...

ليس الانسان غبيا يشتري الذكاء ..انما هو ذكي يبيع الغباء ..

**الخلاصة :**

إن العقل الحيوي وجزء منه العقل البشري ، ( يستغرق الزمان ) لكي ( يرتب المكان ) عبر عمليات منظمة هندسية لإعادة ترتيب الأشياء ( في الطبيعة ) و الأفكار ( في العقول ) من أجل ( أفضل جدوى إستخدام ) ممكنة .

إن جميع الفعاليات ( البسيطة ) في حياتنا ، عبارة عن ( آداب ) ، فاذا تم ربطها بعد حصرها و فرزها ثم إيجاد ( علاقات رياضية ) فيما بينها ، فانها تولد ( أشياءً ) مستحدثة و ( أفكارا ) مستحدثة لم تكن موجودة من قبل .

و يجب التشدد على أن ما نجده من ( مخارج ) هذه العمليات ليس ( إختراعا ) بل إكتشافا .. أي أننا نمارس الهرولة في نفس الدائرة من الوجود المادي و العقلي ..سيما أن كليهما في نهاية الأمر ، الأشياء والأفكار ، عبارة عن مركبات كيمياوية طبيعية .. ولا خروج عن المادة في كل الأحوال ..

الحياة ، إستغراق زمان في مكانه .

العقل عبارة عن زمان ومكان فقط .

العقل زمكان .

لا خروج عن ذلك على الاطلاق .

العالم غير المادي موجود ولكنه خارج معرفتنا ، الى حد ( الإستحالة ) .

المستحيل معرفة العدم .

المالانهاية في العدم .

الله جلت قدرته في المالانهاية المستحيلة .

اذن : كل ما نمارسه عبارة عن ( علم ) في آدابه وفنونه ..

العلم العفوي المقرون بالكائن الحي ، والانسان بالذات ، للتخلص من مأزق وجوده حسب ظنه .. متخذا وسائلَ شتى ، تبدو كما لو أنها غير منتظمة ولكنها في نهاية الأمر ، عبارة عن مجرد محاولة لإبعاد شبح الوحدة منه عنه ..

يريد الإنسان ، إرادةً ، أن يبتعد عنه لسواه ، قدر الامكان ، فيتخذ الآداب والفنون وحتى العلوم التقنية المعروفة لزيادة الإنشغال عن ذاته بسواه ، لعله يصل حافة الطمأنينة الكاملة المستحيلة ، و قد لا ينتهي هذا الجهد الا بالموت ..

اذن :

قد يستحق الأمر ( ذاك التحليل ) ولكنه لا يستحق ( هذا التركيب ) .

نعم .. هناك مشكلة مستحيلة هي ( الحل الكامل ) .. ولا بد من قبول ( الحل الجزئي ) بالانشغال عن الغربة بالوقت والظرف و الآخرين حتى تحين الساعة ..

لا حلَّ للقلق الوجودي الا بتقليصه دون المضي أكثر من ذلك ، باعتبارة أملا مستحيلا ، القضاء بالكامل عليه .. !

القلق الوجودي جزء مركز من حيوية الإنسان وحتى جميع الكائنات الحية .

.. ولا يعلم بالأمر ولا بدايته و نهايته ، الا الله سبحانه وتعالى ..

الطمأنينة ، ممكنة في حدود القبول بالخسارة الجزئية على حساب خيبة الأمل من الربح الكامل ..

الحل هو علم الآداب والفنون .. و السكن اليها ..

والقبول بواقع الحال ، كأمر واقع .. !!!!

كثير من السعادة البشرية على إعتبار الحياة واقعَ أمرٍ .. وليست أمرَ واقعٍ ..

والله أعلم .. !!!!

# فهرس


| | | |
|---|---|---|
| 1 | تمهيد | 5 |
| 2 | مقدمة | 10 |
| 3 | ما هو الأدب | 18 |
| 4 | الطبيعة والطمأنينة | 24 |
| 5 | علم الأدب | 26 |
| 6 | الايماءة و بناتها | 28 |
| 7 | اللغة | 37 |
| 8 | التلحين و الغناء | 45 |
| 9 | الموسيقى والشعر | 51 |
| 10 | الموسيقى وتأثير ها على الطبيعة | 57 |
| 11 | النثر ( الحكاية والقصة والرواية) | 64 |
| 12 | الشهرة والنجومية والزعامة | 68 |
| 13 | علم الذائقة الأدبي | 71 |

| | | |
|---|---|---|
| 14 | الشهادات العلمية | 80 |
| 15 | التداعي السببي | 81 |
| 16 | العلوم الخدمية ( التكنو ) | 83 |
| 17 | الشوارع والمقاهي والكافيهات | 85 |
| 18 | الصليب الاخلاقي | 94 |
| 19 | علم الفنون | 99 |

تم بحمد الله